ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية

ومواقعها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف

بجامعة الأزهر

١٩٨٥

دار الثقافة للطباعة والنشر

٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة

ت: ٩١٦٠٧٦ - القاهرة

ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية
ومواقعها في القرآن الكريم

تأليف
دكتور
فهمي حسن النمر
مدرس النحو والصرف
بجامعة الأزهر

١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــدمة

الحمد لله مصرف الأمور على النحو الذى أراد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نطق بالضـــاد ، وعلى آله وصحبه الهـــادين والمرشدين ، والرافعين لقواعد الدين ٠

وبعـــــد : ــ

فهناك كثير من المســـائل النحوية فى حاجة الى دراســـة وتحقيق وتمحيض ، حتى نصل الى الرأى الأمثل فيها ، ونبتعد عن كل ما يشوبها من غموض ٠

ومن القضايا الجـــديرة بالدراسة والبحث قضية المجاورة ، وقـــد اهتم النحـــاة بهـــذه الظاهـــرة الى الحـــد الذى جعـــل ابن جنى ــ فى الخصائص ــ يعقد لهـــا بابا مستقلا تحت عنوان : باب فى المجاورة ٠

والبحث فى مثل هـــذه القضية يحتـــاج الى جهد مضاعف ، نظرا لتفرقها فى بطون أمهات الكتب ، وتعلقها بالعديد من المسائل النحـــوية والتصريفية ، بالاضافة الى تعدد آراء العلماء فى ذلك ٠

فنهم من أجاز الحكم بالمجاورة ، وجعلها قياسا ، ومنهم من منعها وأول ما أوهم ظاهرة وجـــودها ، ومنهم من قصـــرها على المسموع ولم يجز فيها القياس ٠

وكذا اختلفت آراؤهم فى تطبيق هذه الظاهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ، ففريق يرى أن الجر على الجوار واقع فى القرآن وهـــو كيثر ، وفريق آخر يمنع الجر على الجوار فى القـــرآن ، ويرى ضرورة صونه من هذه الظاهرة ٠

ولقد عنانى أمر هذه القضية كثيرا ، وشغلنى تحقيقها والبحث عن الحقيقة فيها ·وقد قرات ما كتب عنها سواء فى كتب النحو والصرف ، أو فى أمهات كتب التفسير ·

وبعد ذلك ذكرت ما قيل حول هذا الموضوع من آراء مؤيدة ومعارضة ، ورجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما اقول بالدليل ·

وقد جعلت البحث فى تمهيد وأربعة فصول :

ذكرت فى التمهيد : تعريف المجاورة لغة واصطلاحا ، وبيان حركة المجاورة ·

اما الفصل الأول فقد جعلته تحت عنوان : موقف العلماء من القول بالمجاورة ·

والفصل الثانى : خصصته للمجاورة فى الدراسات النحوية · وأدرجت تحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى النعت ·

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى التوكيد ·

المبحث الثالث : الرفع على المجاورة ·

المبحث الرابع : المجاورة فى باب الجوازم ·

المبحث الخامس : المجاورة فى باب التنازع ·

المبحث السادس : المجاورة فى باب الاضافة ·

المبحث السابع : المجاورة فى الأحوال والأزمنة ·

والفصل الثالث : جعلته للمجاورة فى المسائل التصريفية · واشتمل على الأمور الآتية :

١ ـ الجوار بين الواو والكسرة ·

٢ ـ الجوار بين عين الكلمة ولامها ·

٣ ـ قلب الحرف للتناسب ·

٤ ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة ٠

٥ ـ مجاورة الواو للضمة ٠

والفصل الرابع : خصصته للمجاورة فى القرآن الكريم ٠ وأدرجت تحته ثلاثة مبـاحث :

المبحث الأول : الجـر على الجوار فى العطف ٠

المبحث الثانى : الجـر على الجوار فى النعت ٠

المبحث الثالث : الجوار بين الواو والضمة ٠

وبعـــد ٠٠

فالله أسأل أن يجعل هـذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به انه على ما يشـاء قدير ، وبالاجابه جدير ؟

تمهيـــد

المجـاورة فى اللغـــة :

جـاء فى الصحاح(١) : (الجار : الذى يجاورك ، تقول : جاورته مجـاورة وجوارا ، وتجـاور القوم واجتوروا بمعـنى ، والمجـاورة : الاعتـكاف فى المسـجد ، وفى الحـديث : « كان يجـاور فى العشر الأواخر »(٢) • وامرأة الرجـل جارته ، والجار : الذى أجـرته من أن يظلمـه ظالم •

قال الهذلى (أبو جنـدب) :

١ ـ وكنت اذا جـارى دعـا لمضـوفة
أشـمر حتى ينصـف السـاق مئزرى(٣)

وأجـاره الله من العـذاب : أنقـذه)

المجـاورة فى الاصـطلاح :

يقصد بمصطلح الجـر بالمجـاورة أن عامل الجـر ليس الاضافة أو حـرف الجـر ، وانما مجـاورة الاسم لمـا هـو مجرور بالاضافة أو بحـروف •

وهذا هو معنى قول ابن الحاجب(٤) (وقـد يوصف المضاف اليه لفظا والنعت للمضاف اذا لم يلبس ، ويقال له : الجـر بالجوار ، وذلك

---

(١) ٢ : ٦١٧ ، ٦١٨ (جـور) •
(٢) انظر صحيح البخارى ٤ : ٢٧١ ـ طبعة السلفية • وروايته فى البخارى « كان يعتكف ••• » •
(٣) مضوفة : أى أمر ضافة ، أى نزل به وشق عليه ، والمضاف : الملجـأ •
انظر ديوان الهذليين القسم الثالث ص : ٩٢ •
(٤) انظر الكافية بشرح الرضى ١ : ٣١٨ •

للاتصال الحاصل بين المضاف والمضاف اليه ، فجعل ما هو نعت الأول معنى نعت الثانى لفظا) •

حـــركة المجــاورة :

حركة المجاورة ليست حركة بنــاء ولا اعراب ، وانما هى حــركة اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجــاورين ، فلا تحتــاج لعــامل ، لأن الاتيان بهــا انما هو لمجرد أمر استحسانىلفظى لا تعلق له بالمعنى(٥) •

فـ (خــرب) فى قولهم : هذا جحر ضب خرب ــ صفة لــ (جحــر) فــكان حقه الرفع ولكن جــر لمجاورته المجرور ، فهو مرفوع وعلامة رفعة ضــمة مقــدرة على آخــره منع من ظهورها اشــتغال المحــل بحــركة المجـــــاورة •

---

(٥) انظر حاشية الدسوقى على المغنى ٢ : ٣٠٣ •

الفصل الأول
موقف العلماء من القول بالمجاورة

موقف العلماء من القول بالمجاورة

اختلفت كلمة العلماء حول ظاهرة الجر على الجوار ، فمنهم من اجاز هذه الظاهرة ، ومنهم من رفضها ٠

ومن العلماء الذين اجازوا ذلك سيبويه ، وابن مالك ، وابن آجروم وابن هشام ٠

قال سيبويه(١) (ومما جرى نعتا على وجه الكلام « هذا جحر ضب خرب » فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف الى الضب ، فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه فى موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد)(٢) ٠

وقال فى موضع آخر من كتابه(٣) : (وقد حملهم قرب الجوار على أن جروا « هذا جحر ضب خرب » ونحوه فكيف ما يصح معناه) ؟

فانت ترى أن سيبويه ، وان رأى أن الأفصح هو رفع (خرب) فى المثال المتقدم ، وأن هذا هو الذى عليه أكثر العرب وأفصحهم الا أنه لم يرفض الجر ولم يحكم عليه بالشذوذ أو الغلط ٠

وقال ابن مالك(٤) فى شرح الكافية : (ثم نبهت على النعت الذى يسميه النحويون نعتا على الجوار نحو قولهم (هذا جحر ضب خرب)

---

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ، مات سنة ١٨٨هـ ٠

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ ٠

(٣) ١ : ٦٧ ، ويقصد بقوله (فكيف ما يصح معناه) أن اعمال الثانى فى باب التنازع أولى لقربة ووضوح معناه ٠

(٤) هو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائى توفى سنة ٦٧٢هـ بدمشق ٠

فخفض (خرب) لأنه نعت (ضب) فى اللفظ لمجاورته له وانما هو فى المعنى للجحر ، ولا يفعل مثل هذا الا اذا أمن اللبس)(٥) ٠

وابن اجروم الصنهاجى(٦) فى مقدمته المسماة بالأجرومية يتحدث عن ظاهرة الجر ويرى أن له أسبابا اربعة هى الجر بالحرف ، والجر بالاضافة ، والجر بالتبعية ، والجر بالمجاورة(٧) ٠

وقال ابن هشام(٨) فى المغنى : (والذى عليه المحققون أن خفض الجوار يكون فى النعت قليلا ، وفى التوكيد نادرا ، ولا يكون فى النسق ، لأن العاطف يمنع من التجاور)(٩) ٠

المانعون لهذه الظاهرة :

ممن رفض الجر على الجوار وأول ما أهم ظاهرة وجودها ابن جنى والسيرافى(١٠) ٠

قال ابن جنى(١١) فى الخصائص : (فمما جاز خلاف الاجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم ، والى آخر هذا الوقت ، ما رأيته أنا فى قولهم : هذا جحر ضب خرب فهذا يتناوله آخر عن أول ، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذى لا يحمل عليه ، ولا يجوز رد غيره اليه ٠

وأما أنا فعندى أن فى القرآن مثل هذا الموضع نيفا على ألف

---

(٥) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١١٦٦ ـ ١١٦٧ ٠
(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الصنهاجى نسبة الى صنهاجة قبيلة بالمغرب المشهور بابن آجروم توفى بفاس سنة ٧٢٣هـ ٠
(٧) انظر شرح الكفراوى على متن الأجرومية ـ مطبعة عيسى الحلبى ص : ١١٤ ٠
(٨) هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصارى مات بالقاهرة سنة ٧٦١هـ ٠
(٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٣ ٠
(١٠) يفهم من تأويل ابن جنى والسيرافى للأمثلة التى ظاهرها يفيد الجر على الجوار انهما يمنعان الحكم بالمجاورة ٠
(١١) هو أبو الفتح عثمان ابن جنى توفى ببغداد سنة ٣٩٢هـ ٠

موضع · وذلك أنه على حـذف المضاف لا غير ، فاذا حملته على هـذا الذى هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل ·

وتلخيص هذا أن أصله : هـذا جحر ضب خرب جحره ، فيجرى (خـرب) وصفا على (ضب) وان كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقـول : مررت برجل قائم أبوه ، فتجرى (قائما) وصفا على (رجـل) ، وان كان القيام للأب لا للرجل لما تضمن من ذكره(١٢) ·

والأمر فى هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له ، أو شاهد عليه ، فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف الى الهاء ، وأقيمت الهـاء مقامه فارتفعت ، لأن المضـاف المحـذوف كان مرفوعا ، فلمـا ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس (خـرب) فجـرى وصفا على (ضب) وان كان الخـراب للجحر لا للضب على تقدير حـذف المضاف على ما رأينـا · وقلت آية تخلو من حذف المضاف ، نعم وربما كان فى الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع ·

فاذا أمكن ما قلنا ، ولم يكن أكثر من حذف المضاف الذى قـد شاع واطرد كان حمـله عليه أولى من حمـله على الغلط الذى لا يحمل غيره عليه ، ولا يقاس به)(١٣) ·

وقال السيرافى(١٤) : (رأيت بعض النحـويين من البصريين قال فى « هذا جحر ضب خـرب » قولا شرحته وقويته بما يحتمله زعم هـذا النحوى ، أن المعنى : هذا جحر ضب خرب الجحر ·

---

(١٢) أى ضميره يريد أن المسوغ لمجىء قائم وصفا للرجل وهو ليس بوصف له فى الحقيقة بل الموصوف حقيقة الأب هـو تضمن الأب ذكر الرجـل ·

(١٣) انظر الخصائص ١ : ١٩١ ·

(١٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله نشـأ بسيراف من بلاد ، وتوفى ببغداد سنة ٣٦٨هـ ·

(١٥) يعنى ابن جنى ، فلا ضير أن يكون رأى ابن جنى عرف فى حياة السيرافى ، واستحق منه العناية بذكره ، فقد تعاصرا دهرا ، لأن السيرافى مات سنة ٣٦٨هـ ، وابن جنى سنة ٣٩٢هـ ·

والذى يقوى هذا انا اذا قلنـا : خرب الجحر صار من باب حسن الوجه ، وفى خرب الجحر مرفوع ، لأن التقدير : خرب جحره ، ومثله ما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبحين(١٦) ٠

والأصل فى مثال السيرافى المتقدم : مررت برجـل حسن الأبوين لا قبيح أبواه ، ثم جعل فى (قبيح) ضمير الأبوين فثنى لذلك ، وأجـرى على الأول فخفض ٠

وقـد اعترض أبو حيـان وابن هشام على ما ذهب اليـه ابن جنى والسيرافى ٠

قال أبو حيـان(١٧) : (ومذهبها خطأ من غير ما وجه ، لأنه يلزم أن يـكون الجحر مخصصا بالضب ، والضب مخصص بخـراب الجحر المخصص بالاضافة الى الضب ٠

فتخصيص كل منهمـا متوقف على صاحبه وهـو فاسـد للدرر ، ولا يوجد ذلك فى كلام العرب ، أعنى لا يوجـد مررت بوجه رجـل حسن الوجه ، ولأنه من حيث أجرى (الخرب) صـفة على (الضب) لزم ابراز الضمير لئلا يلتبس ٠

ولأن معمول هـذه الصفة لا يتصرف فيه بالحـذف لضعف عملها فأما قول الشاعر :

٢ ـ ويضـحك عـرفان الدروع جـلودنا
اذا جـاء يوم مظـلم الشـمس كاسـف

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قـد حـذف معمول الصفة وان كان قد ذهب اليه بعضهم ٠

وانما هـو عندنا صـفة لليوم نفسـه ، لأن الكسوف يـكون فيه ، فيكون نحو قولهم : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ولأن هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير اليها حتى يصح نسبتها الى الموصوف على طريق الحقيقة ٠

(١٦) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ ٠
(١٧) هـو محمـد أثير الدين يوسف الغـرناطى توفى بالقـاهرة سنة ٧٤٥هـ ٠

ألا ترى أنه لا يصح عندنا مررت برجل حائض البنت ، لأن الحيض لا يكون للرجل ، وكذلك (الخرب) لا يكون للضب)(١٨) ·

وقال ابن هشام فى المغنى(١٩) : (ويلزمها استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وان أمن اللبس ، وقول السيرافى : ان هذا مثل : مررت برجل حسن الأبوين لا قبيحين مردود ، لأن ذلك انما يجوز فى الوصف الثانى دون الأول) ·

ومعنى قول ابن هشام المتقدم أن قياس (خرب) من قولهم : هذا جحر ضب خرب على (قبيحين) يعد قياسا مع الفارق ، لأن (خرب) ليس وصفا ثانيا مثل (قبيحين) والذى جرى عليه الاضمار والحذف والجر على الجوار انما هو الوصف الثانى وهو (قبيحين) كما تقدم أثناء شرحنا لأصل هذا المثال ·

ولو أن السيرافى وابن جنى قصرا مثل هذه الأساليب الواردة عن العرب على السماع ، وعدم جواز القياس فيها ، لكان هذا أقرب وأيسر من هذا الغموض ·

وقد تقدم أن سيبويه قد ذكر فى كتابه أن الوجه فى (خرب) هو الرفع ، وهو كلام أكثر العرب ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، وعلى هذا يكون الأمر ظاهرا وواضحا وهو أن الرفع أجود وأفصح من الجر ، لأن الرفع هو لغة أكثر العرب ، وأما الجر وان كان واردا فهو دون الأفصح ، فيكون مقصورا على السماع ، وبهذا نخرج من دائرة التأويل والحذف والاضمار ·

المجاورة ووقوعها فى القرآن :

ورود الجر على الجوار فى القرآن أو عدمه محل خلاف بين العلماء ، فمنهم من أجاز ، ومنهم من رفض ·

وسنتعرف على أقوال هؤلاء العلماء مفصلة عند الكلام على الفصل الخاص بالمجاورة فى القرآن الكريم ·

---

(١٨) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ ·
(١٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٤ ·

الفصل الثاني

المجاورة فى الدراسات النحوية

المبحث الأول

الجـر على الجـوار في النعت

شروط الجر على الجوار عند البصريين :

اشترط الخليل(١) ــ رحمه الله ــ لجواز الجر على الجوار توافق المضاف والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، وتعريفا وتنـكيرا ·

قال فى الكتاب(٢) : (لا يقولون الا « هذان جحرا ضب خربان »(٣) من قبل أن الضب واحد ، والجحر جحران ·

وانما يغلطون اذا كان الآخر بعدة الأول ، وكان مذكرا مثـله او مؤنثا ، وقالوا : هذه جحرة(٤) ضباب خـربة ، لأن الضـباب مؤنثة ، ولأن الجحرة مؤنثة والعدة(٥) واحدة فغلطوا)(٦) ·

وأما سيبويه فهو يجيز الجـر على الجـوار سواء اتفق المضـاف اليه فى الافراد والتثنية أو لم يتفقا ، فهو يجيز « هذا جحر ضب خر » لاتفاق المضاف والمضاف اليه فى الافراد ، ولوروده عن العرب هكذا ، ويجيز ــ أيضا ــ « هـذان جحرا ضب خربين » بجـر (خـربين) مع أن

---

(١) هـو أبو عبـد الرحمن الخليل بن أحمـد الفراهيدى الأزدى مـات بالبصرة سنة ١٧٥هـ ·

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ ·

(٣) فلا يجوز عند الخليل (خربين) بالجـر على الجوار ، لعـدم اتفاق المتضايفين فى التثنية ·

(٤) الجحرة جمع جحر ، ويجمع أيضا على أجحار ·

(٥) العدة : الجماعة ، وعـدة المرأة أيام أقرائها ، والمراد بهـا هنا اتفاق المتضايفين فى الدلالة على الجمع ·

(٦) أى جعلوا (خربة) صفة لـ (ضباب) فجروها ، وان كان حقها الرفع ، لأنها صـفة لـ (جحرة) المرفوعة ، وصح ذلك الغلط ، لاتفـاق المتضافين فى الدلالة على الجمع ·

المضاف هو (جحرا) مثنى ، والمضاف اليه وهـو (ضب) مفرد · ويرى أنه لا فرق بين الثـانى والأول الا فى البيان · وأما الاتفاق بين المضاف والمضاف اليه فى الجمع فلا يشترطه سيبويه ·

قال سيبويه فى الـكتاب(٧) : (وهـذا قول الخليل ــ رحمه الله ــ ولا نرى هذا(٨) والأول(٩) الا سـواء ، لأنه اذا قال : هـذا جحر ضب متهـدم ، ففيـه من البيـان انه ليس بالضب مثـل ما فى التثنيـة من البيـان)(١٠) ·

ومما تقدم نعلم أن سيبويه قد أجاز الجر على الجوار عند اختلاف المتضايفين فى التثنية ، فهو يقبل : هـذان جحرا ضب خربين ، بجـر (خربين) بخلاف الخليل · فانه لم يجز فى (خربين) الا الرفع ·

والخليل يرى أنه يلزم لصحة الجر على الجوار اتفاق المتضايفين فى الجمع ، ولم يجز ذلك سيبويه ·

والخليل يشترط توافق المتضايفين فى التذكير والتأنيث ، وسيبويه لا يشترط ذلك ·

وذهب ابن الحاجب(١١) فى كافيته(١٢) الى أن سيبويه استشهد ــ على جـواز التخـالف بين المتضايفين فى التذكير والتأنيث ــ بقـول الخطيئة :

٣ ــ فاياكم وحيـة بطـن واد هموز النـاب ليس لكم بسى(١٢)

فان (همـوز) نعت لـ (حيـة) المنصوبة ، وجـر لمجـاورته لأحـد المجرورين وهو بطن أو واد ·

---

(٧) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ ·

(٨) وهو قول الخليل : « هذان جحرا ضب خربان » ·

(٩) وهو : هذا جحر ضب ·

(١٠) يريد أن تثنية المضاف تفيـد أن الجحـر جحران ، والضب واحد ، وأما فى الا فراد ، فالضب واحد ، والجحر واحـد ، وهـذا هو الفرق بين التثنية والافراد ·

(١١) هو أبو عمرو عثمان جمال الدين المشهور بابن الحاجب توفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ ·

(١٢) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ١ : ٣١٨ ·

وعينــه ابن جنى فى شرح تصــريف المــازنى ، فقال(١٤) : (جــر (هموز) وهو من صفة الحية لمجاورته لواد) ·

وقد اختلف المضاف والمضاف اليه تذكيرا وتانيثا ، فان (حيــة) مؤنثة وما بعــدها مذكر ·

وقيل : ان كلا من الحية وما بعــدها مذكر ، اما الحيــة فقد قال صاحب الصحاح(١٥) ·

(الحية تكون للذكر والأنثى ، وانما دخلته الهاء ، لأنه واحــد من جنس ، كبطة ودجاجة ، على انه قد روى عن العرب : رايت حيــا على حية ، أى ذكرا على انثى ، وفلان حية ذكر) ·

واما (البطن) فقد قال صاحب الصحاح(١٦) ـ أيضا : (البطن خلاف الظهر وهو مذكر ، وحكى ابو حاتم عن ابى عبيدة أن تانيثه لغة) ·

وأما الوادى فهــو مذكر لا غير ، فيجــوز للخليل أن يدعى توافق المضاف والمضاف اليه تذكيرا بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ، وكذلك (هموز) فانه (فعول) يوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم الا ان يكتفى بالتخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيين ·

---

(١٣) (اياكم) محــذر و (حيــة) محــذر منه ، وهما منصــوبان بفعلين ، أى بعدوا انفسكم ، واحذروا الحية ، فيكون العطف من قبيــل عطف الجمل ، الأولى تشتمل على جملة المحذر ، والثــانية تشتمل على جملة المحذر منه · وأراد الحطيئة بالحية نفســه · والمعنى : أنه يحمى ناحيتــه ، ويتقى منــه ، كما يتقى من الحيــة الحاميــة لبطن واديهــا المــانعة منه ·

والوادى : المطمئن من الأرض · والهموز : فعول من الهمز بمعنى الغمز والضغط · (ليس لكم بسى) أى لا تستوون معه بل هو أشرف منكم ، يقال : فلان سى فلان اذا كان مثله ·

انظر الديوان ص : ١٣٩ ـ الخزانة ٢ : ٣٢٦ ـ المنصف ٢ : ٢ ·

(١٤) انظر المنصف ٢ : ٢ ·

(١٥) انظر الصحاح ٦ : ٢٣٢٤ (حيــا) ·

(١٦) الصحاح ٥ : ٢٠٧٩ (بطن) ·

والواقع أن سيبويه لم يستشهد بالبيت المتقدم ، وانما استشهد بقول العجاج :

٤ ــ كأن نسج العنكبوت المرمل(١٧)

ووجه الاستدلال به أن (العنكبوت) مؤنث و (المرمل) مذكر ، لأنه وصف للنسيج وقد اختلفا تأنيثا وتذكيرا ٠

وللخليل أن يمنع هذا أيضا فان (العنكبوت) قد جاء مذكرا ــ أيضا ــ وقد نقل ذلك عن العرب ، قال الشاعر :

٥ ــ على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها(١٨) ٠

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة ، فانه تأنيث ليس بعلامة اذ ليس مؤنثا بالتاء ولا باحدى الألفين المقصورة أو الممدودة ، فأشبه التذكير اذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر فى التثنية ، فاذا صح أن تقول : هذان جحرا ضب خربين ، مع اختلاف المتضايفين فى التثنية ، فليصح هنا من باب أولى ٠

وكل ما تقدم من خلاف بين سيبويه والخليل انما هو على رواية (المرمل) بفتح الثانية ــ وأما على رواية (المرمل) بكسر الميم ، فهى نعت للعنكبوت على ما يجب ، والمعنى : العنكبوت الناسج ، لأن (المرمل) بفتح الميم الثانية معناه المنسوج وليس من صفات العنكبوت ٠

---

(١٧) وبعده : على ذرى قلامة المهدل
سبوب كتان بأيدى الغسل
(المرمل) معناه المنسوج ــ والقلام : ضرب من النبت ــ المهدل : المدلى ٠ والسبوب : جمع سب وهو ثوب من كتان أبيض ــ والغسل : جمع غاسل وغاسلة ٠
والمعنى : أن العنكبوت قد نسجت على القلام الذى حول هذا الماء ، والشاعر قد شبه ما نسجت العنكبوت على هذا الماء بثوب رقيق من الكتان ٠
انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ ــ شرح أبيات سيبويه للسيرافى ١ : ٤٩٥ الديوان ص : ٢٤٣ ــ الخزانة ٢ : ٣٢١ ٠
(١٨) (هطال) : جبل ٠ وانظر معانى الفراء ٢ : ٣١٧ ٠

وقول من ذهب الى أن الجوار لا يكون الا مع النكرة مردود بقول ابى ثروان(١٩) : (كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك بخفض (المعروف) على الجوار(٢٠) ٠

ومن امثلة الجر على الجوار فى النعت قول ذى الرمة :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب(٢١)

فـ (غير) نعت لـ (سنة) المنصوبة ، وجر للمجاورة ٠

قال الفراء(٢٢) : (قلت لأبى ثروان ، وقد أنشدنى هذا البيت بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجه غير مقرفة ٠ قلت له : فأنشد فخفض (غير) فأعدت القول عليه ، فقال : الذى تقول أنت أجود مما أقول أنا ، وكان انشاده على الخفض)(٢٣) ٠

وقال دريد بن الصمة :

٦ ـ فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

---

(١٩) هو ابو ثروان ، احد بنى عكل ، واسمه الوحشى ، وهو أعرابى فصيح تعلم فى البادية ، وله من الكتب : خلق الفرس ، وكتاب معانى الشعر ٠ انظر معجم الأدباء ٧ : ١٤٨ ٠

(٢٠) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٣ ٠

(٢١) السنة : الصورة ـ الندب : الأثر من الجراح ، وقوله : غير مقرفة أى غير هجنة عفيفة كريمة ٠ وفى الصحاح : المقرف كمحسن من الفرس وغيره : ما يدانى الهجنة ، أى أمة عربية لا أبوه ، لأن الاقراف من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم ٠

انظر الديوان ص : ٨ ـ معانى الفراء ٢ : ٧٤ ـ الخزانة ٢ : ٣٢٤ ٠

(٢٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الملقب بالفراء توفى ببغداد سنة ٢٠٧هـ ٠

(٢٣) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ ٠

فدافعت عنـــه الخيـــــل حتى تبـــددت
وحتى عـــلانى حـالك اللون أسود(٢٤)

و (أسود) نعت لحالك ، وجـر لمجاورته المجرور ٠

وقال امرؤ القيس :

٧ ـ كأن أبانا فى عـرانين ويله   كبير أناس فى بجـاد مزمل(٢٥)

وكان يجب أن يقول : مزمل ـ بالرفـع ـ ، لأنه نعت لكبير المرفوع الا انه خفضه على الجوار ٠

وقال ابن جنى فى الخصائص(٢٦) : (ولم يحمـل أبو على هـــذا البيت على الغلط ، لأنه اراد مزمل فيه ، ثم حـذف حـرف الجـر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول) ٠

---

(٢٤) تنوشه : تناوله ـ الصياصى : جمع مفرده صيصية ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة (بضم اللام) وهما نوعان من الثيـاب ٠

والمعنى : أن أخاه دعاه والرمح تناوله ، ولها خشخشة ووقع كوقع صياصى الحاكة فى ثوب ينسج ، والنسيج الثياب المنسوجة ٠

وروى البيت برفع (أسود) وعلى هذا يكون فى البيت اقواء ، وهو اختلاف حركة الروى ٠

وخرجه علماء اللغة على أن الأصل هـو (أسودى) ، كما قيل فى الأحمر : أحمرى ، وفى الدوار : دوارى ، قال العجاج :

اطـــربا وأنت قنســـــرى   والدهـر بالانسـان دوارى

ثم خففت ياء النسبة المشددة بحذف احـد الياءين ، وهى الأولى ، وجعل الثـانية صلة ٠

انظر ديوان دريد ص : ٤٨ ـ الخزانة ٢ : ٣٢٣ ـ شرح الحماسة التبريزى ٣ : ٣٠٧ ٠

(٢٥) ثبير : جبل ـ العرانين : الأوائل ، والأصل فى هذا انه يقال للأنف عرنين ، والوبل والوابل : ما عظم من القطر ـ البجـاد : الكسا المخطط ـ المزمل : الملفف ٠

شبه الجبل فى اوائل الوبل ، وهو المطر الشديد الوقع ، العظيم القطر بكبير قوم متلفف بكساء ٠

راجع الخزانة ٢ : ٣٢٧ ـ الخصائص ١ : ١٩١ ـ شرح القصائد التسع للنحاس ١ : ١٩١ ٠

(٢٦) ١ : ١٩١ ٠

وفى الأمالى(٢٧) : ولولا تقدير فيه هاهنا لوجب رفع (مزمل) على الوصف لكبير ، وتقدير فيه أمثل من حمل الجر على المجاورة ٠

وقال فى الخزانة(٢٨) : (قوله (مزمل) انجز لمجاورته لأناس تقديرا لا لـ (بجاد) لتأخره عن (مزمل) فى الرتبة ، فالمجاورة هنا تقديرية) ٠

---

(٢٧) انظر الأمالى الشجرية ١ : ٩٠ ٠
(٢٨) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٧ ٠

المبحث الثانى

الجـر على الجـوار فى التوكيد

الخفض على الجـوار يكون فى التوكيد نادرا ، ومن ذلك قول أبى الغريب(١) :

يا صـــاح بلغ ذوى الزوجـات كلـــهم
أن ليس وصل اذا انحلت عـرا الذنب(٢)

والشاهد : جر كلمة (كلهم) مع أنها توكيد لكلمة (ذوى) المنصوبة ، اذ لو كانت توكيدا لـكلمة (الزوجات) لقال : كلهن ، فـكان حق (كلهم) النصب ، ولكنه خفض لمجاورة المخفوض ·

وقال الفراء(٣) (أنشدنى أبو الجراح العقيلى :

٨ ـ يا صـــاح بلغ ذوى الزوجـــات كلهم
أن ليس وصـــل اذا انحـلت عـــرا الذنب

فأتبع (كل) خفض (الزوجات) وهو منصوب ، لانه نعت لذوى) ·

---

(١) هو أعرابى أدرك دولة العباسيين ·

(٢) صاح : منادى مرخم أصله ياصاحب ، و (كلهم) توكيد لذوى منصوب بفتحة مقدرة منعا من ظهورها كسرة المجاررة · عـرا الذنب : عروق الذكر ·

والمعنى : ان ترك الأزواج الجماع ، لضعفهم ، فحينئذ لا يوجـد وصل من الزوجات لهم ·

انظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ ـ الخزانة ٢ : ٣٢٥ ـ الهمع ٤ : ٣٠٤ ـ شذور الذهب ص : ٢٦١ ·

(٣) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ ·

وأما البدل ، فلم يقل أحد بالجر على الجوار فيه ، قال أبو حيان(٤)٠
رلم يحفظ من كلامهم ما يفيد ذلك ، ولم يخرج أحد شيئا ، وسببه أنه معمول لعامل اخر غير العامل الأول على الأصح ، أى أن البدل على نية تكرير العامل ٠ ولذلك يجوز اظهاره اذا كان حرف جر باجماع ، فبعدت مراعاة المجاورة ، ونزل منزلة جملة أخرى) ٠

---

(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ ٠

المبحث الثالث

الرفع على المجـــاورة

الرفع على المجاورة غير وارد عند جمهور النحاة ، الا أن بعضهم قد اثبته مستدلا على ذلك بقول المتنخل الهذلى :

٩ ـ السـالك الثغـرة اليقظـان كالئهـا
مشى الهـلوك عليهـا الخيعـل الفضـل(١)

(فقد سأل الرياشي الأصمعى(٢) عن سبب ارتفاع (الفضل) ، فرد عليه قائلا : ان (الفضل) نعت (الخيعل) وهو مرفوع ·

واصله أن المـرأة الفضل هى الى تكون فى ثوب واحـد ، فجعـل (الخيعل) فضلا ، لأنه لا ثوب فوقه ، ولا تحته ·

---

(١) البيت من قصيدة للمتنخل الهذلى رثى بها ابنه اثيلة وقبلة :

فقد عجبت وما بالدهر من عجب   انى قتلت وانت الحـازم البطـل

قوله (أنى قتلت) أى كيف قتلت ، و (الثغرة) والثغر بمعنى واحد وهو موضع المخافة · و (كالئها) حافظها و (الهـلوك) من النساء التى تتهالك فى مشيتها أى تتبختر وتتكسر ، وقيل : الهلوك : الفاجـرة الى تتواقع على الرجـال · و (الخيعـل) القميص الذى لا كمى له ، ويقال : امرأة فضل اذا كان عليها قميص ورداء ، وليس عليها ازار ولا سراويل ، والمعنى : انت الذى من شانه سلوك موضع المخـافة دون رهبـة كالمرأة المتبخترة الفضل ·

والثغرة منصوبة ، والعـامل فيها (السـالك) كقولك : الضارب الرجل ، ويجوز فيها الخفض كقولك : الضارب الرجـل ، على التشبيه بالحسن الوجه ، وإذا نصبت الثغرة أو خفضتها أجريت عليها اليقظان وصفا فنصبته أو جررته ، وارتفع به كالئها ، وجاز ذلك لعودة الضمير الى الموصوف ، وقوله (مشى الهلوك) منصوب بتقدير تمشى مشى الهلوك ، وقوله (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، أو جملة اعتراضية ·

وانظر ديوان الهذليين ـ القسم الثـالث ـ ص : ٣٤ ـ الأمـالى الشجرية ٢ : ٣٠ وما بعدها ·

(٢) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٨ ·

قال الرياشي: وهذا مما أخذ على الأصمعي ، ثم رجع عن هذا القول ، وقال بعد ، هو من نعت (الهلوك) الأنه رفعة على الجوار ، كما قالوا : هذا جحر ضب خرب) ٠

ومثل ذلك في العطف قراءة الحسن(٣) « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون » ٠

عطف الملائكة والناس على اسم الله على المعنى ، لأن التقدير : عليهم أن لعنهم الله ٠

ومثل رفع (الفضل) على النعت للهلوك رفع (المظلوم) على النعت للمعقب في قول لبيد يصف الحمار :

١ ـ حتى تهجر في الرواح وهاجها
طلب المعقب حقه المظلوم (٤)

والمعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد مرة(٥) ٠

وقال ابو حيان(٦) : (قال بعض معاصرينا : اكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاء في المرفوع ، وانشد البيت المتقدم ، ثم قال : رفعوا (الفضل) اتباعا لما قبله ، لقربه ٠

---

(٣) آية : ١٦١ من سورة البقرة ، وانظر قراءة الحسن في معاني الفراء ١ : ٩٦ ٠

(٤) تهجر : سار في وقت الهاجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر ـ الرواح : هو الوقت من زوال الشمس الى الليل ، ويقابله الغدو ـ هاجها : أزعجها ـ المعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد أخرى ـ المظلوم : الذي مطله المدين بدين عليه له ٠
والمعنى : يقول : ان هذا الحمار الوحشي قدعجل رواحه الى الماء وقت اشتداد الهاجرة ، وازعج الأتان ، وطلبها الى الماء مثل طلب الغريم الذي مطله مدين له ، فهو يلح في طلبه المرة بعد الأخرى ٠
والشاهد فيه (طلب المعقب ٠٠ المظلوم) حيث أضاف المصدر وهو (طلب) الى فاعله وهو ـ المعقب ـ ثم أتبع الفاعل بالنعت وهو (المظلوم) وجاء بهذا التابع مرفوعا نظرا الى المحل ٠
انظر معاني الفراء ٢ : ٦٦ ، والأمالي الشجرية ٢ : ٣٢ ٠

(٥) انظر قول ابن الشجري المتقدم في أماليه ٢ : ٣٠ وما بعدها.

(٦) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٩ ٠

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر اتباعا للخيعل بل رفعه على النعت للهلوك على الموضع ، لأن معناه ، كما تمشى الهلوك الفضل ، و (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، أو جملة اعتراضية) ٠

وقال ابن قتيبة(٧) : التغرة والثغر سواء وهو موضع المخافة ، والكالىء : الحافظ ، والخيعل : ثوب يخاط أحد جانبيه ، ويترك الآخر ، والهلوك : المتثنية المتكسرة ، والفضل من صفة الهلوك ، وكان ينبغى أن يكون جرا ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل)(٨) ٠

موقف الجمهور :

لم يسلم جمهور النحاة ما ذهب اليه هؤلاء العلماء من جواز الرفع على المجاورة ، وممن تصدى للرد عليهم ابن الشجرى ، وأبو حيان ٠

قال ابن الشجـرى(٩) : (وزعم بعض من لا معـرفة له بحقـائق الاعراب بل لا معرفة له بجملة الاعراب أن ارتفاع (الفضل) على المجاورة للمرفوع فارتكب خطأ فاحشا ٠

وانما (الفضل) نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى اليها كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرا ٠

رفعت الطويل ، لأنه وصف لفاعل الضرب ، وان كان مخفوضا فى اللفظ ٠

ولو قلت : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرو فنصبت الطويل بانه نعت لزيد على معنـاه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما ، كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله :

---

(٧) هو أبو محمـد عبد الله بن مسـلم بن قتيبة الدينـورى توفى ببغداد سنة ٢٧٦هـ ٠

(٨) انظر الخزانة ٢ : ٣٢٨ ٠

(٩) هو أبو السعادات هبة الله بن على الشريف البغـدادى توفى ببغداد سنة ٥٤٢هـ ٠

١١ ـ قـــد كنت داينت بهـــا حســانا
مخـــــافة الا فـلاس والليــــانا)(١٠)

ومما تقـدم نعلم أن الرأى الراجح فى ذلك هو رأى الجمهور ، وهو عدم جواز الرفع على المجاورة ، وأما رفع (الفضل) فى البيت المتقـدم فمحمول على المحل ، لأنه صفة لـ (هلوك) كما تقـدم ، وهو كثير وسائغ عن جمهور النحاة ٠

---

(١٠) نسب فى الكتاب الى رؤبة ، وذكر العينى أنه ينسب أيضـا الى زياد العنبرى ٠

و « داينت بها » أخذتها بدلا عن دين لى عنده ، والضمير فى (بها) يعود الى أمة (الليان) بفتح اللام وتشديد الياء : المطل واللى والتسويف فى قضاء الدين ٠

والمعنى : كنت قـد أخذت هـذه الأمة من حســان بدلا عن دين لى عنده ، لمخافتى أن يفلس ، أو يمطلنى فلا يؤدينى حقى ٠

والشاهد فيه : قوله (والليانا) حيث عطفه بالنصب على (الافلاس) الذى أضيف المصدر اليه ، نظرا الى محله ٠

انظر الكتاب ١ : ١٩١ ـ الأمالى الشجرية ٢ : ٣١ ٠

المبحث الرابع

المجـاورة في باب الجوازم

عامل الجـزم في جواب الشرط :

ذهب الكوفيون الى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار ٠

واختلف البصريون ، فذهب الأكثرون الى أن العامل فيهما حـرف الشـــرط ٠

وذهب آخـرون الى أن حرف الشرط وفعـل الشرط يعملان فيـه ٠ وذهب آخرون الى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط ، وفعـل الشرط يعمل في جواب الشرط(١) ٠

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انمـا قلنـا انه مجـزوم على الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له ، لا يـكاد ينفك عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم ، فـكان مجزوما على الجوار ٠

والحمل على الجوار كثير قال الله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين »(٢) ٠

وجه الدليل أنه قال (والمشركين) بالخفض على الجوار ، وان كان معطوفا على (الذين) فهو مرفوع ، لأنه اسم يكن ٠

وقال زهـــــير :

١٢ ـ لعب الرياح بهـا وغيرها ‏ ‏ ‏ بعـدى سوافى المور والقطر(٣)

---

(١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٢ ٠

(٢) البينـــة : ١ ٠

(٣) السـوافى : جمع سـافية : وتطلق على الريح الى تسـفى التراب ، ويقال أيضا على التراب الذى تسفيه الرياح ، أى تذروه وتطيره وتهيجه ٠ والمور ـ بضم الميم ـ هو التراب ـ والقطر :

=

فخفض (القطر) على الجوار ، وان كان ينبغى أن يكون مرفوعا ، لانه معطوف على (سوافى) ، ولا يكون معطوفا على (المور) وهو الغبار ، لانه ليس للقطر سواف كالمور حتى يعطفه عليه ٠

(ولو عطف على (المور) للزم أن يكون معمولا لسوافى ، لأن العامل فى المعطوف هو العامل فى المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الكلام : سوافى المور وسوافى القطر ٠

ومراد الشاعر ان الذى غير هذه الديار شيئان : أحدهما ــ الريح التى تسفى عليها التراب ، وثانيهما المطر ، وهذا المعنى لا يتأتى الا بأن يكون (القطر) معطوفا على سوافى مع انه ليس للمطر سواف ، فيكون مرفوعا فى التقدير ، وجره لمجاورته المجرور ، فنقول : القطر معطوف على سواف والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على اخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة)(٤) ٠

وقال الآخر :

١٣ ــ كأنما ضربت قدام أعينها
قطنا بمستحصد الأوتار محلوج(٥)

=
هو المطر ٠
انظر الديوان ص : ٨٦ ، والانصاف ٢ : ٦٠٣ ٠

(٤) شرح شواهد الانصاف ٢ : ٦٠٣ للشيخ محيى الدين عبد الحميد ٠

(٥) (مستحصد الأوتار) من اضافة الصفة للموصوف ، أى الأوتار المستحصدة ، ومستحصد ــ بكسر الصاد ــ اذا كان قد أحكم فتله وصنعته ، وهذا اللفظ يقال فى كل ما أحكمت صناعته من الحبال والأوتار والدروع ، وقالوا : هذا رجل محصد الرأى ، أى سديد الرأى ، وقالوا : هذا رأى مستحصد ، أى محكم وثيق وهو فى هذا بفتح الصاد ٠ ومحلوج : اسم مفعول من قولهم : حلج القطن يحلجه اذا ندفه ، وقطن حليج ومحلوج : مندوف ، أى قد استخرج منه الحب ، وصانع ذلك هو الحلاج كالعطار والقصاب ٠
انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ ــ الانصاف ٢ : ٦٠٥ ٠

فخفض (محلوج) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول (محلوجا) لكونه وصفا لقوله (قطنا) ولكنه خفضه على الجوار ·

وقال لبيد :

كان نسيج العنكبوت المرمل(٦)

فخفض (المرمل) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول : (المرملا) لكونه وصفا للنسيج ، لا للعنكبوت ·

ومن ذلك قولهم : جحر ضب خرب ، فخفضوا خربا على الجوار ، وكان ينبغي أن يكون مرفوعا ، لكونه في الحقيقة صفة للجحر لا للضب ، فكذلك ها هنا : جواب الشرط كان ينبغي أن يكون مرفوعا الا أنه جزم للجوار ، ولهذا اذا حلت بينه وبين فعل الشرط بالفاء او باذا رجع الى الرفع)(٧) ·

الجواب عن كلمات الكوفيين :

أما احتجاجهم بقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » فلا حجة لهم فيه ، لان قوله (والمشركين) ليس معطوفا على (الذين كفروا) وانما هو معطوف على قوله (من اهل الكتاب) فدخله الجر ، لأنه معطوف على مجرور ، لا على الجوار ·

وأما قول زهير :

بعدي سوافي المور والقطر

فلا حجة لهم فيه ، لانه معطوف على (المور) وهو الغبار ، وقولهم « لا يكون معطوفا على (المور) لأنه ليس للقطر سواف » قلنا : يجوز أن يكون قد سمى ما تسفيه الريح منه وقت نزوله سوافي ، كما يسمى ما تسفيه الريح من الغبار سواف ·

(٦) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٤)
(٧) الانصاف ٢ : ٦٠٥ ، ٦٠٧ ·

وأما قول لبيـــد :

كأن نســـيج العنــكبوت المــرمل

فنقول : الرواية (المرمل) بكسر الميم ـ فيكون من وصف العنكبوت لا النسيج ، وان كانت الرواية التى ذكرتم صحيحة ، وانه مجـرور على الجوار ، الا انه لا حجة فيـه ، لأن الحمل على الجوار من الشاذ الذى لا يعرج عليه ٠

وكذلك قوله :

قطنــا بمستحصد الأوتار محـلوج

وقولهم : جحر ضب خـرب ، محمول على الشـذوذ الذى يقتصر فيه على السماع لقلته ، ولا يقـاس عليه ، لأنه ليس كل ما حـكى عنهم يقاس عليه ، الا ترى أن اللحيانى(٨) حكى أن من العرب من يجزم بلن وينصب بلم ، الى غير ذلك من الشواذ التى لا يلتفت اليها ولا يقاس عليها ، فكذلك ها هنا(٩) ٠

وقال ابن مالك فى شرح التسهيل(١٠) : (اختلف فى الجازم لجواب الشرط فقال الكوفيون : هو مجزوم على الجوار ، كجحر ضب خرب من قولهم : هذا جحر ضب خرب ، وهو باطل لأمور :

أحدها ـ أن الخفض على الجوار لا يكون الا بعد مجرور ٠

ثانيها ـ أن الخفض على الجوار لا يكون الا مع الاتصال ، وجـ الجواب يكون مع الاتصال والانفصال ٠

فعلم أنه ليس مجزوما على الجوار) ٠

---

(٨) هو على بن حازم اللحيانى من تلاميذ الكسائى ، صنف كتاب النــوادر ٠

(٩) الانصاف ٢ : ٦٠٩ ـ ٦١٥ ٠

(١٠) انظر شرح تسهيل الفـوائد وتكميل المقـاصد لابن مالك ـ نسخة مصورة على الميكروفيلم موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعـة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) ٠

وأنا أرجح ما ذكره الشيخ محيى الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ تعليقا على هذه المسألة حيث قال(١١) : (والتحقيق فيه عندى أن يقال : ان (ان) هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط ، لأنه لاينفك عنه ، فحرف الشرط يعمل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط ، لا به ، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب ، فالتسخين انما حصل عند وجودهما لا بهما ، لأن التسخين انما حصل بالنار وحدها ، فكذلك ها هنا ، (ان) هو العامل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا انه عامل معه) ٠

---

(١١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٨ ٠

المبحث الخامس

المجـاورة فى باب التنازع

القول فى أولى العاملين بالعمل فى باب التنازع :

ذهب الكوفيون فى اعمال العاملين ، نحـو « أكرمنى وأكرمت زيدا ، وأكرمت وأكرمنى زيد » الى أن اعمال الفعل الأول أولى •

وذهب البصريون الى أن اعمال الفعل الثانى أولى •

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : (الدليل على أن اعمال الفعـل الأول أولى النقل والقياس •

أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيرا ومنه قول امرئ القيس •

١٤ ــ فـلو أن ما أسـعى لأدنى معيشـة
كفـانى ــ ولم أطلب ــ قليـل من المـال(١)

---

(١) محـل الاستشهاد بالبيت فى قـوله (كفانى ولم أطلب قليل من المـال) فان الكوفيين زعموا أن هذا البيت من باب التنازع ، لتقـدم فعلين على اسم واحد ، وقـد أعمـل الشاعر أول الفعلين ، وهـو قوله (كفانى) فى الاسم المتأخر فرفعه ، والدليل على ذلك انه لو أعمل الثانى ، وهو (أطلب) لنصب الاسم به ، لأنه يطلب مفعولا •

وهذا الكلام غير صحيح ، لأن شرط التنازع أن يكون محل واحـد من العاملين المتقدمين طالبا للمعمول مـع صحة المعنى على فرض عمـل أيهما فيـه •

وفى هذا البيت لا يتم ذلك ، فانك لو قلت : لو ثبت كونى سعيى لأدنى معيشـة كفـانى قليـل من المـال ، ولم أطلب ذلك القليـل ، لـكان كلاما متناقضا لا محصول له •

وانما يتم معنى بيت امرئ القيس اذا قـدرت لقوله (ولم أطلب) مفعولا يدل عليه البيت بعده ، وتقـديره : (ولم أطلب الملك) واذا انتهى البيت الى قولك : ولو ثبت كون سعيى لأدنى معيشة كفانى قليل من المـال ، ولم أطلب الملك كان كلاما صحيحا مقبولا •

انظر الديوان ص : ٣٩ والانصاف ١ : ٨٤ ، وقطر الندى ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨ •

فاعمل الفعل الأول ، ولو اعمل الثانى لنصب (قليلا) ، وذلك لم يروه أحـد ٠

وأما القياس فهو أن الفعل الاول سابق الفعل الثانى ، وهو صالح للعمل كالفعل الثانى ، الا انه لمـا كان مبدوءا به كان اعماله أولى ، لقوة الابتداء والعناية به ، ولهذا لا يجوز الغـاء (ظننت) اذا وقعت مبتدأة ، نحو : ظننت زيدا قائما بخلاف ما اذا وقعت متوسطة أو متأخرة نحو : زيد ظننت قائم ، وزيد قائم ظننت ، وكذلك لا يجوز الغاء (كان) اذا وقعت مبتدأة نحو : كان زيد قائما ، بخلاف ما اذا كانت متوسطة ، نحو : زيد كان قائم فدل أن الابتداء له أثره فى تقوية عمل الفعل ٠

والذى يؤيد أن اعمـال الأول أولى من الثـانى أنك اذا أعملت الثـانى أدى الى الاضمار قبـل الذكر ، والاضمار قبل الذكر لا يجـوز فى كلامهم)(٢) ٠

(وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليـل على أن الاختيـار اعمال الفعل الثانى النقل والقياس ٠

أما النقل فقـد جاء كثيرا ، قال الله تعـالى : « اتونى أفرغ عليه قطرا »(٣) فأعمل الفعل الثانى وهو أفرغ ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه ، وقال تعـالى : « هاؤم اقرء واكتابيه »(٤) فأعمل الثـانى وهو اقرءوا ، ولو أعمل الأول لقال : اقرءوه ٠

وقال الفـرزدق :

١٥ ــ ولـكن نصــفا لو ســببت وســبنى
بنـو عبـد شــمس من منــاف وهاشم(٥)

---

(٢) انظر الانصاف ١ : ٨٣ ــ ٨٧ ٠
(٣) الكهف : ٩٦ ٠
(٤) الحـــاقة : ١٩ ٠
(٥) النصف ــ بالـكسر ــ معنـاه العــدل ، والمعنى : ليس من الانصـاف أن أساب مقاعسـا بآبائى ، وذلك لضعتهم وشرفى ، فلا اثم
الانصـاف أن أساب مقاعسـا بآبائى ، وذلك لضعتهم وشرفى ٠ فلا اثم
=

فاعمل الثاني . ولو أعمل الأول لقال : سببت وسبوني بني عبد شمس ، بنصب (بني) واظهار الضمير في سبني ٠

وأما القياس فهو أن الفعل الثاني أقرب الى الاسم من الفعل الأول ، وليس في اعماله دون الأول نقض معنى ، فكان اعماله أولى ، الا ترى انهم قالوا « خشنت بصدره وصدر زيد » فيختارون اعمال الباء في المعطوف ، ولا يختارون اعمال الفعل فيه ، لأنها أقرب اليه منه ، وليس في اعمالها نقض معنى ، فكان اعمالها أولى ٠

والذي يدل على أن للقرب أثرا أنه قد حملهم القرب والجوار حتى قالوا : « جحر ضب خرب » فأجروا (خرب) على (ضب) وهو في الحقيقة صفة للجحر ، لأن الضب لا يوصف بالخراب ، فها هنا أولى)(٦) ٠

وقال سيبويه(٧) في معرض حديثه عن أولى العاملين بالعمل في باب التنازع : (وهو قولك : ضربت وضربني زيد ، وضربني وضربت زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه ٠

فالعامل في اللفظ احد العاملين ، وأما في المعنى ، فقد يعلم أن الأول قد وقع(٨) الا أنه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع ٠

وانما كان الذي يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقض معنى ، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، كما كانت : خشنت بصدره(٩) وصدر زيد وجه الكلام ، حيث كان الجر في الأول ، وكانت الباء أقرب الى الاسم من الفعل ، ولا تنقض معنى ، سووا بينهما في الجر ، كما يستويان في النصب) ٠

=
وبنو عبد شمس من أشراف قريش أبوهم عبد مناف ابن قصي ، وهاشم وعبد شمس أخوان توأمان ٠ وهاشم في البيت معطوف على عبد شمس لا على مناف ، وهو شاهد على اعمال العامل الثاني ٠
انظر الديوان ص : ٨٤٤ ، والكتاب ١ : ٧٧ ، والانصاف ١ : ٨٧ ٠

(٦) انظر الانصاف ١ : ٨٧ ـ ٩٢ ٠

(٧) انظر الكتاب ١ : ٧٣ ٠

(٨) يعني وقوع الفعل على المفعول من جهة المعنى ٠

(٩) خشنت بصدره : أو غرت بصدره ٠

(الجواب عن كلمات الكوفيين :

بالنسبة لقول امرىء القيس :

فلو ان ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم أطلب قليل من المال

فنقول : انما أعمل الأول منهما مراعاة للمعنى ، لأنه لو أعمل الثانى لكان الكلام متناقضا ، وذلك من وجهين ، أحدهما ــ أنه لو أعمل الثانى لكان التقدير فيه : كفانى قليل ولم أطلب قليلا من المال ، وهذا متناقض ، لأنه يخبر تارة بأن سعيه ليس لأدنى معيشة ، وتارة يخبر بأنه يطلب القليل ، وذلك متناقض ·

والثانى ــ انه قال فى البيت الذى بعده :

١٦ ــ ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

فلهذا أعمل الأول ولم يعمل الثانى ·

وأما قولهم : ان الفعل الأول سابق فوجب اعماله للعناية به ، قلنا : هم وان كانوا يعنون بالابتداء الا انهم يعنون بالمقاربة والجوار أكثر ·

وأما قولهم : لو أعملنا الثانى لأدى الى الاضمار قبل الذكر ، قلنا : انما جوزنا ها هنا الاضمار قبل الذكر ، لأن ما بعده يفسره ، لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض اذا كان فى الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب ، قال تعالى : « والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »(١٠) فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل ، ولعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى حكم الأول ، وقال تعالى « أن الله برىء من المشركين ورسوله »(١١) فاستغنى بذكر خبر الأول عن ذكر خبر الثانى ، لعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى ذلك)(١٢) ·

---

(١٠) الأحزاب : ٣٥ ·　　(١١) التوبة : ٣ ·
(١٢) انظر الانصاف ١ : ٩٢ ، ٩٣ ·

(والمدقق فى مثل هذه المسألة يرى أن الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم ، قد عمل العامل الأول فى بعضها ، وعمل الثانى فى بعضها الآخر ٠

ومن هنا فقد تكافأ العاملان فى جواز الاعمال ، ولم يبق أحدهما أولى من أخيه ، فأما سبق الأول صاحبه ، وقرب الآخر من المعمول فلا يفيد ، فانا نعلم أن الأفعال تعمل متقدمة على المعمول ومتأخرة عنه ، وتعمل متصلة بمعمولها ومفصلة منه ، وذلك كله واقع فى أفصح كلام ، فليس لواحد من الفريقيين أن يدعى أن الاستعمال العربى يؤيده وحده ، لأن الاستعمال العربى يؤيد كل واحد منهما ، والأولى عدم الترجيح فى مثل هذه القضية ، فان لكل منهما مستندا من التعليل والقياس لا من الاستعمال العربى)(١٣) ٠

---

(١٣) انظر تعليق الشيخ محيى الدين على شواهد الانصاف ١ : ٨٨ ، ٩٠ ٠

المبحث السادس

المجـاورة فى باب الاضافة

ما يكتسبه المضاف بالمجاورة :

قـد يكتسب المضـاف المذكر التانيث من المضـاف اليـه المؤنث ، ويشترط فى ذلك أمران :

الأول ـ أن يكون المضاف صالحا للحذف ، واقامة المضاف اليـه مقامة مع صحة المعنى ٠

الثـانى ـ أن يكون المضاف بعضا من المضاف اليـه أو كبعضه ، أو كلا له ٠

فمن الأول قوله تعالى « فله عشر أمثالها »(١٤) ، فحذفت التـاء من (عشر) وهى مضافة الى الأمثـال ، وهى مذكرة ، ولكن لـما جاورت الأمثال الضمير المؤنث أجرى عليها حكمه(١٥) ٠

وقال جـرير :

١٧ ـ لـما اتى خـبر الزبير تضعضعت
سـور المدينة والجبـال الخشـع(١٦)

فألحق بالفعل (تضعضعت) تاء التـأنيث مع أن فاعله مذكر وهـو (سور) ولكن لـما جاور (المدينة) المؤنثة اكتسب التانيث منها ٠

ومن ذلك أيضا قولهم : ذهبت بعض أصابعه ، فـ (بعض) فاعـل (ذهبت) ولحقت فعله تاء التانيث ، لكونه بعض المضاف اليه ، فاكتسب المضاف وهو (بعض) التانيث من المضاف اليه ، وهو (الأصابع) لصحة

---

(١٤) الأنعـام : ١٦٠ ٠
(١٥) انظر التبيـان ١ : ٤٢٣ ٠
(١٦) انظر الديوان ص : ٣٤٥ ، وفيه تواضعت بدل تضعضعت ٠

الاستغناء بالأصابع عنه فتقول : ذهبت أصابعه ، تعبيرا بالكل عن الجزء ٠

وقال الأعشى :

١٨ ــ وتشرق بالقول الذى قد أذعته
كما شرقت صدر القناة من الدم(١٧)

فألحق بالفعل (شرقت) تاء التأنيث مع أن فاعله مذكر وهو (صدر) والقياس (شرق) ، ولكن لما كان الصدر الذى هو مضاف بعض المضاف اليه وهو القناة اكتسب التأنيث منه ٠

ومن الثاني قول ذى الرمة :

١٩ ــ مشين كما اهتزت رماح تسفهت
أعاليها مر الرياح النواسم(١٨)

فقد ألحق الشاعر بالفعل وهو (تسفه) علامة التأنيث مع أن فاعله مذكر وهو (مر) ، لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه ، والشرطان موجودان ، لأن المضاف وهو (مر) كالبعض ، ويصح المعنى بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فتقول : تسفهت الرياح ٠

ومن الثالث قوله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا »(١٩) فقد ألحق بالفعل وهو (تجد) علامة التأنيث وهى تاء

---

(١٧) (تشرق) و (شرقت) يقال : شرق فلان بالماء يشرق من باب علم ، أى غص (القناة) الرمح ، وصدرها أعلاها الذى يلى السنان ، أى يعود عليك مكروه ما أذعت عنى من القول ٠
انظر الديوان ص : ١٨٣ ــ الأشمونى ٢ : ٢٤٨ ــ الكتاب ١ : ٥٢ ٠

(١٨) تسفهت : أمالت (أعاليها) جمع أعلى وهو الطرف العالى (النواسم) جمع ناسمة وهو أول الريح حين تهب بلين ، وأراد من الرماح الأغصان ٠ والمعنى : أن هؤلاء النسوة قد مشين فى اهتزاز وتمايل ، فهن يحاكين رماحا أو غصونا ــ مرت بها ريح فأمالتها
انظر الديوان ص : ٦٩٥ ٠

(١٩) آل عمران : ٣٠ ٠

المضارعة مع أن فاعله مذكر وهو (كل) ، لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (نفس) ، ويصح المعنى بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فتقول : يوم تجد نفس ·

وقول عنترة :

٢٠ ــ جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم(٢٠)

فقد لحقت الفعل وهو جادت تاء التأنيث مع كون فاعله مذكرا وهو (كل) لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (عين) ·

وقد يكتسب المضاف المؤنث التذكير من المضاف اليه المذكر كقول الشاعر :

٢١ ــ انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا(٢١)

فذكر (مكسوف) مع أنه خبر عن مؤنث وهو (انارة) ، لأنه اكتسب التذكير من اضافته الى العقل المذكر ·

وقيل : أن من ذلك قوله تعالى « ان رحمة الله قريب من

---

(٢٠) الضمير فى (عليه) يرجع الى النبت فى البيت السابق (عين) سحابة تأتى من جهة العراق أو مطر ايام لا يقلع · (ثرة) كثيرة الماء (حديقة) المراد بها هنا الأرض المرتفعة (كالدرهم) فى الاستدارة والبياض ·

انظر الأشمونى ٢ : ٢٤٨ ·

(٢١) (انارة) هو فى الأصل مصدر قولك : أنار القمر ونحوه اذا أضاء (العقل) هو الغريزة التى بها يدرك الانسان الأشياء (مكسوف) هو الوصف من قولك : كسفت الشمس بالبناء للمجهول اذا ذهب نورها · (بطوع هوى) طوع ــ بفتح الطاء وسكون الواو ــ أى الطاعة والانقياد ·

والهوى : شهوة النفس وميلها الى ما تحبه ، وأراد بسبب انطلاقه وراء شهوات نفسه الموبقة · والمعنى : اذا جرى الانسان وراء شهوات نفسه ، وانطلق خلف أغراضه ضعف عقله الذى به يدرك الأشياء ، وغطى على نوره الربانى الذى تفيضه عليه الطاعة ·

انظر أوضح المسالك ٢ : ١٨١ ــ الأشمونى ٢ : ٢٤٨ ·

المحسنين »(٢٢) فالرحمة مؤنثة واكتسبت التذكير من أضافتها الى لفظ الجلالة ، فأخبر عنها بقريب المذكر ، وكان القياس أن يقال : قريبة ٠

ورد هذا القول بقوله تعالى « لعل الساعة قريب »(٢٣) حيث ذكره بلا اضافة ٠ فالاوجه ان التذكير فى الآيتين لاجراء فعيل بمعنى فاعل مجرى فعيل بمعنى مفعول فى أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث ٠

أو لكون فعيل على وزن المصدر كصهيل ، والمصدر يخبر به عن المذكر والمؤنث ، فكذا ما وازنه ٠

فان فقد الشرطان المذكوران لم يكتسب المضاف التأنيث أو التذكير من المضاف اليه فلا تقول : حضرت ابن زينب ، ولا قام امرأة محمد ، لان المضاف لا يصلح للاستغناء عنه بالمضاف اليه ، ولا تقول : أعجبتنى يوم العروبة (الجمعة) ، لأنه وان صح الاستغناء عن المضاف بالمضاف اليه ، فتقول : أعجبتنى العروبة فليس المضاف كلا ولا بعضا للمضاف اليه ولا كبعضه ، لان اليوم هو نفس العروبة ٠

وقال العكبرى(٢٤) : (ومما راعت العرب فيه الجوار قولهم : قامت هند ، فلم يجيزوا حذف التاء اذا لم يفصل بينهما ، فان فصلوا بينهما أجازوا حذفها ، ولا فرق بينهما الا المجاورة وعدم المجاورة)(٢٥) ٠

---

(٢٢) الأعراف : ٥٦ ٠
(٢٣) الشورى : ١٧ ٠
(٢٤) هو أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسن أصله من عكبر (بليدة على دجلة فوق بغداد) توفى ببغداد سنة ٦١٦هـ وقد قارب الثمانين ٠
(٢٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ ٠

المبحث السابع

المجاورة في باب الأحوال والأزمنة

من شرط الفعل اذا نصب ظرفا أن يكون واقعا فيه ، أو فى بعضه ، كقولك : صمت يوما ، وسرت فرسخا ، وزرتك يوم الجمعة ، وجلست عندك ·

فكل واحد من هذه الأفعال واقع فى الظرف الذى نصبه لا محالة ·

وأحيانا ينصب الفعل الظرف ولا يكون واقعا فيه ، وانما هو يقع فيما يلى الظرف ولكن بسبب المجاورة الزمانية صارا كأنهما وقعا فى وقت واحد ·

ومن ذلك قولهم : أحسنت اليه اذ أطاعنى ، وأنت لم تحسن اليه فى أول وقت الطاعة ، وانما أحسنت اليه بعد تمامها ، ألا ترى أن الاحسان مسبب عن الطاعة ، وهى كالعلة له ، ولا بد من تقدم وقت السبب على وقت المسبب ، كما لا بد من ذلك مع العلة · لكنه لما تقارب الزمانان ، وتجاورت الحالان فى الطاعة والاحسان ، أو الطاعة واستحقاق الاحسان صارا كأنهما وقعا فى زمان واحد كما أسلفنا ·

والدليل على ذلك أن (لما) من قولك : لما أطاعنى أحسنت اليه ، انما هى منصوبة بالاحسان ، وظرف له ، كقولك : أحسنت اليه وقت طاعته ، وأنت لم تحسن اليه لأول وقت الطاعة ، وانما كان الاحسان عقب الطاعة ، أى بعد أن أطاعة ، لكن لما كان الثانى مسببا عن الأول وتاليا له ، فاقتربت الحالان ، وتجاور الزمانان ، صار الاحسان كأنه هو والطاعة فى زمان واحد ، فعمل الاحسان فى الزمان الذى يجاوز وقته ، كما يعمل فى الزمان الواقع فيه هو نفسه ·

وقال بن جـــنى(١) :

(ولـــا اطرد هــذا فى كلامهم وكثر على ألسنتهم وفى استعمالهم تجاوزوه واتسعوا فيه الى ما تناءت حالاه ، وتفاوت زماناه ، وذلك كان يقول رجل بمصر فى رجل آخر بخراسان : لـــا ســاءت حــاله حسنتها ، ولـــا اختلت معيشته عمرتها ، ولعله أن يكون بين هاتين الحالين السنة والســنتان ٠

فان قلت : فلعل هذا مما اكتفى فيه بذكر السبب ، وهو المعرفة بسوء حالة واختلال معيشته ، أما المسبب عنه وهو التغيير والاصلاح فيكون متراخيا ، فكأنه قال : لـــا عرفت اختلال حالة عمرتها ٠

قيل : ولو كان الأمر على ذلك لـــا عدوت ما كنا عليه ، الا ترى انه قد يعرف ذلك من حال صاحبه ، وهو معه فى بلد واحد بل منزل واحــد فيكون بين المعرفة بذلك والتغيير له الشهر والشهران أو اكثر ، فــكيف بمن بينه وبينه الشقة الشاسعة المحتاجة الى المدة المتراخية) ٠

وبعد هذا قال ابن جنى(٢) : (وعلى هــذا يتوجــه عندى قول الله ــ ســـبحانه ــ « ولن ينفعـــكم اليــوم اذ ظلمتم انــكم فى العـــذاب مشتركون »(٣) ٠

وذلك أن تجعل (اذ) بدلا من قوله (اليوم) والا بقيت بلا ناصب ٠ وجاز ابدال (اذ) وهـــو ماض فى الدنيا من قــوله (اليوم) وهــو حينئذ حاضر فى الآخرة ، لأنه لـــا كان عدم الانتفاع بالاشتراك فى العــذاب انما هو مسبب عن الظلم ، وكانت ــ أيضا ــ الآخرة تلى الدنيــا بلا وقفة ولا فصــل صــار الوقتــان على تباينهمــا وتنائيهما كالوقتين المقترنين الدانيين المتلاصقين نحو :

أحسنت اليه اذ شكرنى ، وأعطيته حين سألنى ٠

وهذا أمر استقر بينى وبين أبى على(٤) ــ رحمه الله ــ ٠

---

(١) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٣ ٠
(٢) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ ٠
(٣) الزخــرف : ٣٩ ٠
(٤) هو أبو على الحسن بن أحمد الفــارسى نشأ فى بلاد فارس ، وتوفى ببغداد سنة ٣٧٧هـ ، عن نيف وتسعين سنة ٠

وانما جاء هذا النحو فى الأزمنة دون الأمـكنة من حيث كان كل جزء من الزمان لا يجتمع مع جزء آخر منه ، انما يلى الثانى الاول خلفا له ، وعوضا عنه ، فصار الوقتان كأنهما واحد ، وليس كذلك المـكان ، لأن المـكانين يوجـسـدان فى الوقت الواحـد ، بل فى أوقات كثيرة غير منقضـــية ٠

فلمـا كان المـكان بل الأمـكنة كلهـا تجتمع فى الوقت الواحـد والأوقات كلها لم يقم بعضها مقام بعض ، ولم يجـر مجـراه ، فلهـذا لا نقول : جلست فى البيت من خارج أسكفته(٥) ، وان كان ذلك موضعا يجاوز البيت ويماسه ، لأن البيت لا يعدم(٦) فيكيون خارج بابه ، خالفا فى الوجود له ، كما يعدم الوقت فيعرض منه ما بعده)(٧) ٠

---

(٥) أسكفة البـاب : عتبته ٠

(٦) يقصد بذلك أنك لا يصح أن تقول : جلست فى البيت من خارج عتبته قاصدا بذلك الجلوس فى البيت ، وتكون عتبة البيت نائبة عن البيت فى الوجود ، لأن البيت موجود وعتبته موجودة ،، ويجتمعان فى الوقت

(٧) أنظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ ٠

الفصل الثالث

المجاورة في المسائل التصريفية

المجاورة فى المسائل التصريفية

لم يكن أثر الجوار قاصرا على الجانب النحوى فقط ، وانما تعداه ليشمل الجانب التصريفى أيضا ٠

ومن ذلك :

١ ـ الجوار بين الواو والكسرة ٠

٢ ـ الجوار بين عين الكلمة ولامها ٠

٣ ـ قلب الحرف للتناسب ٠

٤ ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة ٠

٥ ـ مجاورة الواو للضمة ٠

أولا ـ الجوار بين الواو والكسرة :

من ذلك قولهم : قنية ، وصبية ، وفلان من عليه النـاس ، وهو ابن عمى دنيا ، وصبيان ٠

وأصل (قنية من قنوت ، وصبية من صبوت وكذا صبيان ، وعليه من علوت ، ودنيا من دنوت ٠

وقياسه : قنوة ، وصبوة وصبوان ، وعلوة ، ودنوا ٠

ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتبر الساكن حاجزا لضعفه ٠

ونظير هذا قولهم : أقتل ، أدخل حيث ضموا الهمزة لضمة العين ، ولم يعتدوا بالفاء حاجزا لسكونها فصارت الهمزة لذاك كأنها قبل العين المضمومة ، فضمت كراهة الخروج من كسر الى ضم(١) ٠

---

(١) انظر المنصف ٢ : ٢ ٠

ثانيا – الجوار بين عين الكلمة ولامها :

ومن ذلك قولهم فى صوم : صيم قال سيبويه(٢) (والواو تقلب ياء فى فعل ، وذلك قولهم : صيم فى صوم ، وقيم فى قوم ، وقيل فى قول ، ونيم فى نوم · لما كانت الياء اخف عليهم وكانت بعد ضمة ، شبهوها بقولهم : عتى فى عتو ، وجثى فى جثو ، وعصى فى عصو ·

وقد قالوا ايضا : صيم ونيم ، كما قالوا : عتى وعصى · ولم يغيروا فى زوار وصوام ، لأنهم شبهوا الواو فى صيم بها فى عتو اذ كانت لاما وقبل اللام واو زائدة · وكلما تباعدت من اخر الحرف بعد شبهها وقويت) ·

ومن أمثلة القلب فى (فعل) قول الحادرة :

٢٢ – ومعرص تغلى المراجل تحته
بادرت طبختها لرهط جيع(٣)

يريد جوعا ·

ثالثا – قلب الحرف للتناسب :

من قلب الحروف قوله – عليه الصلاة والسلام – « ارجعن مأزورات غير مأجورات »(٤) · والأصل موزورات – بالواو – لأنه من الوزر ·

---

(٢) انظر الكتاب ٤ : ٣٦٢ ·

(٣) (معرص) – بضم الميم وفتح العين والراء المشددة – هو اللحم الملقى فى العرصة للجفاف ، والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع العراص والعرصات · (المراجل) جمع مرجل وهو القدر من النحاس ·
والشاهد فى قوله (جيع) فان أصله جوع ، لأنه من الأجوف الواوى فأبدلت الياء من الواو وهو جمع جائع ·
ووجه ذلك أن العين شبهت باللام لقربها من الطرف ، فأعلت كما تعل اللام ، فقلبت الواو الأخيرة ياء ، ثم قلبت الواو الأولى ياء وأدغمت الياء فى الياء ، ومع كثرته التصحيح أكثر منه نحو : نوم وصوم ·
انظر الخصائص ٣ : ٢١٨ – المنصف ٢ : ٣ – الأشمونى ٤ : ٣٢٨ ·

(٤) المذكور جزء من حديث ذكره ابن ماجه وتمامه « خرج
=

فهمز الأول لتناسب همز الثـانى ومشاكلته ، اى ارجعن وعليكن الوزر لا الأجـر ٠

وقولهم : انى لآتيه بالغداديا والعشايا هـو لازدواج الكلام(٥) ، كما قالوا : هنأنى الطعام ومرأنى ، وانما هو أمرأنى(٦) ٠

رابعـا ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة :

من ذلك قولهم فى (أواول) أوائل ، بقلب الواو الثـانية همـزة ، لقربها من الطرف ، فاذا بعدت عن الطرف لا تقلب نحو : طواويس ٠

وهذا موضع من مواضع ابدال الواو والياء همزة وجوبا ، وهو ان تقع احداهما ثانى حرفى علة توسطت بينهما ألف شبه مفاعل سواء كان حرفا العلة واوين نحو : أوائل جمع أول ٠

واصل هذا الجمع (أواول) فابدلت الواو الثانية همزة ، أم ياءين نحو نيائف جمع نيف (وهو ما زاد على العقد الى العقد الثانى) من ناف ينيف اذا زاد ، فياؤه أصـلية ، وقيل من ناف ينوف ، فأصله : نيوف ، اجتمعت الواو والياء وسبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمت اليـاء فى الياء ٠

أم كانا مختلفين نحو : سيائد جمع سيد ، وأصل الجمع سياود ، ونحو بوائع جمع بائعة وأصل الجمع بوايع ٠

=

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاذا نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟ قلن ننتظر الجنـازة قال : هل تغسلن ؟ قلن لا ، قال : هـل تحملن ؟ قـلن لا ، قال : هـل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا ، قال : فارجعن مأزورات غير مأجـورات ٠

انظر سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١ : ٥٠٣ ٠

(٥) يقال : آتيـك غـداة غـد ، والجمع الغـدوات مثـل : قطاة وقطـــوات ٠

وانظر الصحاح ٦ : ٢٤٤٤ ٠

(٦) هنأنى ومرأنى اى جعـل عيشى مـريئا ، اى حمد المعيشـة مستحسنا الا أن الهمزة حذفت منـه عند اقترانه بهنأنى طلبا للمشاكلة ٠

وانظر حاشية حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ٢ : ٣٠٣ ٠

ويشترط فى بقاء هذه الهمزة أيضا أن تكون اللام حرفا صحيحا غير همزة ·

فان توسطت بينهما ألف شبه مفاعيل وجب تصحيح ثانى حرفى العلة لبعده حينئذ عن الطرف ، كما فى طواويس جمع طاووس ·

فلما كانت كل من الواو والياء قريبة من الطرف قلبتا همزة ، كما لو وقعتا طرفين ، وذلك اذا تطرفت احداهما بعد ألف زائدة حقيقة نحو : دعاء وسماء وبناء وفناء · والأصل : دعاو ، وسماو ، وبناى ، وفناى ، فأبدلت الواو والياء فيهن همزة ، أو حكما بأن كان بعد احداهما تاء تأنيث أو علامة تثنية عارضتان نحو : بناءة مؤنث بناء ، وكساءين تثنية كساء(٧) ·

خامسا ـ مجاورة الواو للضمة :

من ذلك قول جرير :

٢٣ ـ أحب المؤقدين الى مؤسى
وجعدة اذا أضاءهما الوقود(٨)

---

(٧) راجع الأشمونى ٤ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والتبيان فى اعراب القرآن ١ : ٤٢٣ ·

(٨) البيت ـ لجرير من قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك المروانى ، وموسى وجعدة : ولدا جرير ، وروى ابن جنى صدره فى سر الصناعة أحب المؤقدين بصيغة افعل التفضيل ، فيكون (أحب) مبتدأ مضافا الى (المؤقدين) بالجمع ، و (مؤسى) خبرة ، ورواه فى الخصائص وفى شرح تصريف المازنى وفى المحتسب لحب المؤقدان فتكون اللام فى جواب قسم محذوف و (حب) للمدح والتعجب ، وأصلها حبب ـ بفتح العين ـ فعل متعد كقول غيلان النهشلى :

فوالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

ثم نقل الى باب فعل ـ بالضم ـ للمدح للالحاق بنعم · و (المؤقدان) فاعل حب ، (مؤسى وجعدة) هو المخصوص بالمدح و (الى) بمعنى عندى و (اذ) ظرف متعلق بحب ، و (أضاءهما) بمعنى أنارهما وأظهرهما · والتى أضاء لازما ، يقال : أضاء الشىء بمعنى أشرق ، والاسم الضياء · و (الوقود) بالضم مصدر وقدت النار : أى اشتعلت ، و (الوقود)

(وى بهمز (المؤقدين) و (مؤسى) ، حكاه ابن جنى فى سر الصناعة(٩) عن أبى على ، قال : وروى قنبل عن ابن كثير(بالسؤق) فهمزة الواو(١٠) ٠

ووجه ذلك أن الواو ، وان كنت ساكنة فانها قد جاورت ضمة الميم ، فصارت الضمة كأنها فيها ، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أقتت) و (أجوة) ، لانضمامها كذلك كان همز الواو فى المؤقدين ومؤسى ٠

وقال فى المحتسب(١١) : همز الواو فى الموضعين جميعا من البيت . لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما فصارت الضمة كأنها فيهما ٠

والواو اذا انضمت ضما لازما فهمزها جائز نحو (أقتت) فى وقتت ، و (أجوه) فى وجوه(١٢) ، ونظائر ذلك كثير ٠

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى(١٣) ـ بعد انشاد البيت : (همز الواو الساكنة ، لانه توهم الضمة قبلها فيها ، وانما يجوز مثل هذا الغلط منهم لما يستهويهم من الشبه ، لأنهم ليست لهم قياسات يعتصمون

=

بالفتح الحطب الذى يوقد ، وقد روى هنا بالوجهين ، وأريد به هنا وقود نار القرى ، كما هو عادة العرب ، يوقد الكريم منهم نارا على موضع عال ليهتدى بها اليه الغريب والمسافر فيأتى الى قراه ٠ والشاعر قد وصف ابنية ونفسه بالكرم ، حيث جعل محبته لهما من حين اشتهارهما بالكرم ٠

انظر شرح ديوان جرير ص : ١٧٤ ـ شرح شواهد الشافية ٤ : ٤٢٩ ٠

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ص : ٩٠ ٠

(١٠) من قوله تعالى « ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق » آية : ٣٣ من سورة ص ٠

(١١) ١ : ٨٤ ٠

(١٢) من مواضع ابدال الواو همزة جوازا ، أن تكون الواو مضمومة ضمة لازمة غير مشددة سواء كانت أول الكلمة نحو : أجوه جمع وجه ، وأصله وجوه ، أم لم تكن فى أول الكلمة نحو : أدؤر جمع دار ، وأنؤر جمع نار ، والأصل : أدور وأنور ٠

ونحو : سؤوق جمع ساق ، وقؤول مبالغة فى قائل ٠

(١٣) انظر المنصف ١ : ٣١١ ٠

بها ، وانما يميلون الى طبائعهم ، فمن أجـل ذلك قـرأ الحسن البصرى « وما تنزلت به الشياطون »(١٤) لأنه توهمه جمع التصحيح نحـــو : الزيدون ، وليس منه ٠

وكذلك قراءته « ولا أدراتــكم به »(١٥) جــاء به كأنه من درأته ، وليس منه انما هو من دريت الشيء : علمت به ٠

وكذلك قراءة من قرأ « عادا لؤلى »(١٦) فهمز فهو خطــأ منه بمنزلة قول الشاعر :

لحـــب المؤقـــدان الى مؤسى

فهمز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، ولهذا الغلط فى كلامهم نظائر فاذا جاء فاعرفه لتستعمله كما سمعته ولا تقس عليه) ٠

---

(١٤) الشعراء : ٢١٠

(١٥) من قوله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليــكم ولا أدراكم به » من الآية : ١٦ من سورة يونس ، وانظر معانى الفراء ١ : ٤٥٩ ٠

(١٦) من قوله تعــالى « وأنه أهلك عــادة الأولى » آية : ٥٠ من سورة النجم ٠

وفى البحر ٨ : ١٦٩ : وهمز قالون عين الأولى بدل الواو الساكنة، ولــا لم يــكن بين الضمة والواو حــائل تخيــل أن الضــمة على الواو فهمـــزها ٠

الفصل الرابع

القول بالمجاورة فى القرآن الكريم

المبحث الأول

الجـر على الجـوار فى العطف

ذهب كثير من العلماء الى أن الخفض على الجـوار لا يحسن فى المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة ٠

ويرى فريق آخـر أن العطف على الجوار ليس بممتنع أن يقع فى القرآن الكريم ، بل ان ذلك واردو كثير ٠

ومن ذلك قوله تعالى :

« يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيدكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين »(١) ٠

فقد قرأ نافع وابن عامـر ، والكسائى ، وحفص بالنصب ، وقـرأ الباقون بالخفض(٢) ٠

ومن هنا اختلفت كلمة العلماء فى توجيه قراءة جـر (الأرجـل) أيكون الجر بسبب مجاورة (الرءوس) المجرورة ، وان اختلف الحـكم ، فيكون العطف على (الرءوس) من ناحية اللفظ والمعنى للغسل ٠

وهؤلاء هم الذين قالوا بجواز الجر على الجوار فى العطف ، ومن باب أولى فهو جائز عندهم فى النعت ٠

أم أن (الأرجـل) معطوفة على (الرءوس) عطفـا حقيقيا باللفـظ والمعنى ، وأما وجوب غسل الرجلين فيفهم ويؤخـذ من اللغة وأحـاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والاجماع ٠

وهؤلاء هم الرافضون لظاهرة الجر على الجوار فى القـرآن الكريم سواء كان ذلك فى العطف أم فى النعت ٠

---

(١) من الآية : ٦ من سورة المائدة ٠
(٢) انظر الكشف ١ : ٤٠٦ ٠

فممن قال بالرأى الأول : الزجاج ، والنحاس ، وأبو حيان والألوسى .

وممن قل بالرأى الثانى : الفراء ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، والعكبرى .

أولا ـ آراء المجيزين :

١ ـ قال أبو عبيدة(٣) فى مجاز القرآن : (وأرجلكم) مجرورة بالمجرورة التى قبلها ، وهى مشتركة بالكلام الأول من المغسول .

والعرب قد تفعل هذا بالجوار ، والمعنى على الأول ، فكان موضعه : واغسلوا أرجلكم(٤) .

وقال الأخفش(٥) فى معانى القرآن(٦) : (« وأرجلكم » بالنصب ، حيث رد الى الغسل فى قراءة بعضهم ، لأنه قال : « فاغسلوا وجوهكم » .

وقال بعضهم : (وأرجلكم) على المسح ، أى وامسحوا بأرجلكم ، وهذا لا يعرفه الناس . وقال ابن عباس : المسح على الرجلين يجزىء .

ويجوز الجر على الاتباع ، وهو فى المعنى الغسل ، نحو : هذا جحر ضب خرب .

والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثله قول العرب :

أكلت خبزا ولبنا ، واللبن لا يؤكل .

---

(٣) هو معمر بن المثنى ولد سنة ١١٠ هـ ، وتوفى بين سنة ٢٠٩ ، ٢١٣ .
(٤) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .
(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة توفى ببغداد سنة ٢١٥هـ .
(٦) انظر معانى القرآن ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

قال الشـــاعر :

٢٤ ــ ياليت زوجـك قــد غــدا   متقــلدا ســـيفا ورمحـــا)(٧)

وقال العكبرى(٨) فى التبيان : (قــرىء (وأرجلــكم) بالجر وهــو مشهور ــ أيضا ــ كشهرة النصب وفيها وجهان :

أحــدها ــ انهــا معطوفة على الرءوس) فى الاعــراب ، والحــكم مختلف ، فالرءوس ممسوحة ، والأرجل مغسولة وهــو الاعــراب الذى يقال فيه هو على الجوار · وليس بممتنع أن يقع فى القرآن لكثرته ·

والوجه الثـــانى ــ أن يكون جر الأرجل بجار محــذوف تقــديره : وافعلوا بأرجلــكم غسلا ، وحــذف الجار وابقاء الجــر جائز ·

قال الشـــاعر :

٢٥ ــ مشـــائيم ليســوا مصــلحين عشــيرة
ولا ناعـــب الا ببـــــين غـــــرابها(٩)

وقال زهـــــير :

---

(٧) البيت لعبد الله الزبعرى القرشى ، شاعر خبيث ، كان مؤذيا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بلسانه ، ثم أسلم واعتذر اليه ·
والمعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا ، لأنه يقال : تقلد فلان سيفه ولا يقال : تقلد رمحه ، وانما يقال : حمل رمحه ·
انظــر معـــانى الأخفش ١ : ٢٥٥ ــ معـــانى الفـــراء ١ : ١٢١ ــ الأمالى الشجرية ٢ : ٣٢١ ·

(٨) هو أبو البقــاء عبــد الله الضرير بن الحســين توفى ببغــداد سنة ٦١٦هـ ·

(٩) قاله الأحوص الرياحى يهجو بنى يربوع ينسبهم الى الشؤم وقلة الصـــلاح والخير ، وانهم لا يصلحون أمــر العشيرة اذا ما فســد ما بينهم ، فغرابهم لا ينعب الا بالبين والفرقة ·
والشاهد فيــه حمــل (ناعب) على المعنى ، أى ليســوا بمصلحين ولا ناعب ·
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ ــ الخزانة ٢ : ١٤٠ ·

٢٦ – بدالى أنى لست مــــدرك ما مضى
ولا ســــابق شــيئا اذا كان جائيــا(١٠)
فجر بتقدير البــاء وليس بموضع ضرورة)(١١) ·

والزمخشرى(١٢) وان لم يصرح فى هذه الآية بالجر على الجوار الا أن ظاهر كلامه يفيد ذلك ، فقــد قال فى الكشاف : (فان قلت : فمــا تصنع بقراءة الجر ودخــولها فى حــكم المسح ؟ قلت : الأرجــل من بين الأعضاء الثلاثة المغســولة تغســل بصب المــاء عليهــا ، فــكانت مظنة الاسراف المذموم المنهى عنــه ، فعطفت على الثالث الممســوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب المــاء عليها ·

وقيــل (الى الــكعبين) فجيء بالغــاية اماطــة لظن ظــان يحسبها ممسوحة ، لان المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة)(١٣) ·

اراء المــانعين :

قال الزجاج(١٤) فى معــانى القــرآن(١٥) : (قــرئ (وأرجلــكم) بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز فى العربية ·

فمن قـــرأ بالنصب فالمعنى : فاغســلوا وجــوهكم وأيديــكم الى المرافق ، وأرجلــكم الى الــكعبين ، وامسحوا برءوســكم على التقــديم والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك ، كما قال – جــل وعــز – « يا مــريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »(١٦) ·

---

(١٠) استشهد به سيبويه على صحة الحمل على المعنى فان معناه : لست بمدرك ولا سابق ·
والمعنى : أن الانسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ·
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ – ديوان زهير ص : ٢٨٧ ·
(١١) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ – ٤٢٤ ·
(١٢) هو محمود بن عمر جاد الله الزمخشرى ، ولد بزمخشر بلد بخوارزم توفى سنة ٥٣٨هـ ·
(١٣)انظر الكشاف ١ : ٣٢٦ ·
(١٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى ، ولقب بالزجــاج ، لانه كان يخرط الزجاج توفى ببغداد سنة ٣١٠هـ ·
(١٥) انظر معانى القرآن واعرابه للزجاج ٢ : ١٦٧ وما بعدها ·
(١٦) آل عمران : ٤٣ ·

والمعنى : واركعي واسجدي ، لأن الركوع قبل السجود ٠

ومن قرأ (وأرجلكم) بالجر عطف على الرءوس ، وقال بعضهم : نزل جبريل بالمسح والسنة الغسل(١٧) ٠

وقال بعض أهل اللغة : هو جر على الجوار ٠

فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله ٠

ويجوز (وأرجلكم) بالجر على معنى واغسلوا ، لأن قوله (الى الكعبين) قد دل على ذلك كما وصفنا ، وينسق بالغسل على المسح كقول الشاعر :

يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا(١٨)

المعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا ٠

وكذلك قال الشاعر :

٢٧ ـ علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها(١٩)

المعنى : وسقيتها ماء باردا) ٠

وقال النحاس(٢٠) في اعراب القرآن(٢١) : (ذهب الأخفش وأبو عبيدة(٢٢) الى أن الخفض على الجوار ، والمعنى للغسل ٠

---

(١٧) يريد أن السنة هي التي بينت الغسل ، أما القرآن فجاء بالمسح ٠

(١٨) البيت لعبد الله الزبعرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٤) ٠

(١٩) يروى قبل صدره لما حططت الرحل عنها واردا
وعلفتها : أطعمتها وقدمت لها ما تأكله ـ تبنا : هو قصب الزرع بعد أن يداس ـ شتت : بمعنى بدت ـ همالة : صيغة مبالغة أي انهمرت وفاضت به وكثر نزوله منها ـ الرحل : متاع المسافر ـ واردا : أي موافيا لما قصدت اليه بسفري وبالغا اياه ٠
انظر معاني الفراء ٣ : ١٢٤ ـ أوضح المسالك ٢ : ٥٦ ٠

(٢٠) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصري توفي سنة ٣٣٧هـ بالقاهرة ٠

(٢١) انظر اعراب القرآن للنحاس ١ : ٤٨٥ ٠

(٢٢) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ ٠

قال الاخفش : ومثله « هذا جحر ضب خرب » وهـذا القول غلط عظيم ونظيره الاقواء(٢٣) ٠

ومن أحسن ما قيل : أن المسح والغسل واجبـان جميعا ، والمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض ٠ والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراء تان بمنزلة آيتين) ٠

وقال ابو حيان فى البحر(٢٤) : (والظاهر من هذه القراءة اندراج الأرجـل فى المسح مـع الرأس ٠ وروى وجوب مسـح الرجلين عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبى وأبى جعفر الباقر ، وهو مذهب الامامية من الشيعة ٠

ومن أوجب الغسل تأول أن الجر هو خفض على الجـوار ، وهـو تأويل ضعيف جدا ، ولم يرد الا فى النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد تقرر فى العربية) ٠

وقال الألوسى(٢٥) : فى روح المعانى(٢٦) : (قرأ نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وحفص (وأرجلكم) بنصب اللام ٠

وقـرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم (وأرجلـكم) بخفض الـــلام ٠

ومن هنـا اختلف النـاس فى غسل الرجلين ومسحهما ٠

قال الامام الرازى(٢٧) : نقل القفال فى تفسيره عن ابن عبـاس وأنس ابن مالك وعكرمة والشعبى أن الواجب فيها المسح ، وهو مذهب الاماميـــة ٠

---

(٢٣) هو اختلاف حركة الروى المطلق بالضم والكسر ٠
(٢٤) انظر البحر المحيط ٣ : ٤٣٧ ٠
(٢٥) هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ٠
(٢٦) ٦ : ٧٣ وما بعدها الى ص : ٧٨ ٠
(٢٧) هو أبو عبد الله محمد بن حسين القرشى الطبرستانى الأصل الشافعى المذهب المفسر المتكلم الأصولى توفى فى سنة ٦٠٦ هـ ٠

وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغسل ٠

وجهة القائلين بالمسح قراءة الجـر ، فانها تقتضى كون الأرجـل معطوفة على الرءوس فـكما وجب المسح فيها وجب المسح على الأرجل ٠

وقول من قال : ان الواجب فى الأرجل الغسل ـ وانما جـرت على الجوار ـ باطل من وجوه :

اولهـا ـ أن الجر على الجوار معدود من اللحن الذى قـد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه ٠

وثانيهـا ـ أن الجـر انمـا يصـار اليـه حيث حصـل الأمن من الالتباس ، وفى الآية الأمن من الالتباس غير حاصل ٠

وثالثـها ـ أن الجر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ٠

ومن العلماء من ردوا قراءة النصب الى قراءة الجـر ، فقالوا : انها تقتضى المسح أيضا ، لأن العطف حينئذ على الرءوس لقربه فيتشاركان فى الحكم ، وهذا مذهب مشهور للنحاة

ثم قال الامام(٢٨) : واعلم انه لا يمكن الجواب عن هـذا الا من وجهـــــين :

الأول ـ أن الأخبـار الكثيرة وردت بايجـاب الغسـل ، والغسـل مشتمل على المسح ولا ينعكس ، فـكأن الغسـل اقـرب الى الاحتياط ، فوجب المصير اليـه ، وعلى هـذا يجب القطع بأن غسل الأرجـل يقـوم مقـام مسحها ٠

والثـانى ـ أن فرض الأرجل محدود الى الكعبين ، والتحديد انما جاء فى الغسل لا فى المسح ٠

والقراءتان متواترتان باجماع الفريقين بل باطباق أهـل الاسلام

---

(٢٨) يعـنى : الفخـر الرازى ، وانظر التفسـير الـكبير ١٠ : ١٥٤ ، ١٥٥ ٠

كلهم · ومن القواعد الأصولية عند الطائفتين ان القراءتين المتواترتين اذا تعارضتا فى اية واحدة فلهما حكم آيتين ، فلا بد لنا أن نسعى ونجتهد فى تطبيقهما أولا مهما أمكن ، لأن الأصل فى الدلائل الاعمال دون الاهمال كما تقرر عند أهل الأصول ·

ثم نطلب بعد ذلك الترجيح بينهما ، فان لم يتيسر لنا الترجيح بينهما نتركهما ونتوجه الى الدلائل الاخرى من السنة ·

وقد ذكر الاصوليون ان الايات اذا تعارضت بحيث لا يمكن التوفيق تم الترجيح بينهما يرجع الى السنة ، وان تعارضت السنة كذلك نرجع الى اقوال الصحابه واهل البيت ، أو نرجع الى القياس عند القائلين بأن قياس المجتهد يعمل به عند التعارض ·

فلما تأملنا فى هاتين القراءتين فى الآية وجدنا التطبيق بينهما بقواعدنا من وجهين :

الاول — أن يحمل المسح على الغسل كما صرح به أبو زيد الانصارى(٢٩) وغيره من أهل اللغة ، فيقال للرجل اذا توضأ تمسح ، ويقال : مسح الله تعالى ما بك أى أزال عنك المرض ، ومسح الأرض المطر اذا غسلها ·

فاذا عطفت الأرجل على الرءوس فى قراءة الجر لا يتعين كونها ممسوحة بالمعنى الذى يدعيه الشيعة ·

واعترض على ذلك من وجوه :

أولها — أن فائدة اللفظين فى اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرق الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة ، فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا ؟

وثانيها — أن الأرجل اذا كانت معطوفة على الرءوس ، وكان الفرض فى الرءوس المسح الذى ليس يغسل بلا خلاف — وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، والا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ·

---

(٢٩) هو سعيد بن أوس أبو زيد الأنصارى كان كثير الرواية عن العرب ، ونوادره مشهورة توفى سنة ٢١٥ هـ ·

وثالثها – انه لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخبر أنه – صلى الله عليه وسلم غسل رجليه ، لأنه على هذا يمكن أن يكون مسحها ، فسمى غسلا ٠

ورابعها – أن استشهاد أبى زيد بقولهم : تمسحت للصلاة لا يجدى نفعا ، لاحتمال انهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ، ولم يجز أن يقولوا : تغسلت للصلاة ، لأن ذلك يوهم الغسل ، قالوا بدله : تمسحت لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضا ، فتجوزوا بذلك تعويلا على فهم المراد ، وذلك لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل ٠

وأجيب عن الأول – بأنا لا ننكر اختلاف فائدة اللفظين لغة وشرعا ، ولا تفرقة الله تعالى بين المغسول والممسوح من الأعضاء ، لكنا ندعى أن حمل المسح على الغسل فى بعض المواضع جائز ، وليس فى اللغة والشرع ما يأباه ، على انه قد ورد ذلك فى كلامهم ٠

وعن الثانى – بأنا نقدر لفظ امسحوا قبل أرجلكم – أيضا – واذا تعدد اللفظ فلا بأس بأن يتعدد المعنى ولا محذور فيه ٠

وقد نقل شارح زبدة الأصول من الامامية ان هذا القسم من الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز بحيث يكون ذلك اللفظ فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى ، وفى المعطوف بالمعنى المجازى ٠

وقالوا فى آية « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل »(٣٠) ٠

ان الصلاة فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى الشرعى – وهو الأركان المخصوصة – وفى المعطوف بالمعنى المجازى وهو المسجد ، فانه محل الصلاة ٠

وبذلك فسر الآية جمع من مفسرى الامامية وفقهائهم ، وعليه فيكون هذا العطف من عطف الجمل فى التحقيق ، ويكون المسح المتعلق بالرءوس بالمعنى الحقيقى ، والمسح المتعلق بالأرجل بالمعنى المجازى ٠

---

(٣٠) النساء : ٤٣ ٠

ولا يشــكل أن فى الآية حينئذ ابهــاما ــ ويبعــد وقــوع ذلك فى التنزيل ــ لانا نقول : ان الآية نزلت بعدما فرض الوضوء ، وعلمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ روح القدس اياه فى ابتداء البعثة بسنين ، فلا بأس أن يستعمل فيها هذا القسم من الابهــام ، فان المخــاطبين كانوا عارفين بكيفية الوضوء ولم تتوقف معرفتهم بها على الاستنباط من الآية ·

ولم تنزل الآية لتعليمهم ، بل ســوقها لابدال التيمم من الوضــوء والغسل فى الظاهر ، والغالب فيما يذكر لذلك عدم البيان المشبع ·

وعن الثالث ــ بأن حمل المسح على الغسل لداع لا يستلزم حمــل الغسل على المسح بغير داع ، فكيف يسقط الاستدلال ؟ سبحان الله تعالى هذا هو العجب العجاب ·

وعن الرابع ــ بأنا لا نسلم أن العدول عن تغسلت لايهامه الغسل ، فان تمسحت يوهم ذلك ايضا بناء على ما قاله من أن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضا ، سلمنا ذلك لكنا لم نقتصر فى الاستشهاد على ذلك ويكفى مسح الأرض المطر فى الفرض ·

الوجه الثــانى ــ أن يبقى المســح على الظاهر ، وتجعل الأرجــل على تلك القراءة معطوفة على المغسولات ، كما فى قراءة النصب ، والجر للمجــاورة ·

وقد سبق رد هذا قول عند بداية كلام الألوسى المتقدم ·

وبعــد ··· فانا أرى أن ما ذهب اليه الزجاج والنحاس وأبو حيان والألوسى ــ من وجوب تنزيه كلام الله تعالى عن مثل ظاهرة الجر على الجوار فى العطف ــ هو الحق الذى يجب أن نتبعه ، فان القرآن الكريم ما ينبغى أن يقال فى شأنه مثل ذلك ·

ثم ان الجر على الجوار انما يصادر اليــه حيث حصل الأمن من اللبس ، وفى الآية الأمن من اللبس غير حاصل ، فقد يوهم بأن الأرجــل ممسوحة لا مغسولة ·

وجمهور العلماء على أن الجر على الجوار انما يكون بدون حرف

العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ، اذ ان حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة .

وعلى ذلك فان قراءة من قرأ (وارجلكم) بجر اللام ، انما هى بالعطف على قوله (برءوسكم) على أن المراد بالمسح فى الأرجل الغسل .

وقال ابو زيد الأنصارى : المسح خفيف الغسل .

وكان أبو زيد من الثقات الأثبات فى نقل اللغة ، وهو من شيوخ سيبويه .

والذى يدل على ذلك قولهم : تمسحت للصلاة اى توضأت والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول .

والسر فى ذلك أن المتوضىء لا يقنع بصب الماء على الأعضاء حتى يمسحها مع الغسل ، فلذلك سمى الغسل مسحا ، فالراس والرجل ممسوحان ، الا أن المسح فى الرجل المراد به الغسل لبيان السنة ، ولولا ذلك لكان محتملا .

والذى يدل على أن المراد به الغسل ورود التحديد فى قوله (الى الكعبين) والتحديد انما جاء فى المغسول لا فى الممسوح .

وقيل بالجر على الجوار فى العطف فى « وحور عين » من قوله تعالى :

« والسابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين »(٣١) .

فى النشر(٣٢) : قرأ الجمهور برفع (وحور عين) وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى بخفض الاسمين .

---

(٣١) اية : ١٠ ـ الى ٢٢ من سورة الواقعة .
(٣٢) انظر طيبة النشر فى القراءات العشر ٢ : ٢٥٤ .

وبسبب قراءة الخفض وقع الخلاف بين العلماء ، فمنهم من قال : ان قوله تعالى (وحور عين) بالجر معطوفة على قوله (بأكواب) فيكون الجر على الاتباع فى اللفظ ، وإن اختلف المعنى ، وهذا هو الجر على الجوار ، وممن ذهب الى ذلك الفراء والعكبرى ٠

ومنهم من قال بعطف (وحور عين) على (جنات) فيكون العطف باللفظ والمعنى ، وعليه فالمسالة ليست من باب المجاورة ٠

ومن هؤلاء الزمخشرى فى أحد قوليه ، والألوسى ٠

أولا ـ القائلون بالعطف على اللفظ دون المعنى :

قال الفراء فى معانى القرآن : قرأ أصحاب عبد الله (وحور عين) ٠ بالجر ، وهو وجه العربية ، وان كان اكثر القراء على الرفع ، لانهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم حور عين ، أو عندهم حور عين ٠

والخفض على أن تتبع آخر الكلام باوله ، وان لم يحسن فى اخره ما حسن فى أوله ، أنشدنى بعض العرب :

٢٨ ـ اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا(٣٣)

فالعين لا تزجج وانما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى يعرف ٠

وأنشدنى آخر :

ولقيت زوجك فى الوغى   متقلدا سيفا ورمحا(٣٤)

---

(٣٣) البيت للراعى النميرى ، وانظر الدرر اللوامع ١ : ١٩١ ٠
(٣٤) يروى الشطر الأول هكذا
يا ليت زوجك قد غدا
والبيت لعبد الله الزبعرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٤) ٠

وأنشدني بعض بني دبير :

علفتهـا تبنـــا ومــــاء باردا حتى شتت همالة عيناها(٣٥)

والمــاء لا يعتلف ، انما يشرب ، فجعله تابعــا للتبن ٠

ولقد كان ينبغي لمن قرأ « وحور عين » بالرفع ــ أن يقول (وفاكهة ولحم طير) ، لأن الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ، فلا يطاف الا بالخمـر وحـــــدها(٣٦) ٠

وقال العكبري في التبيان عند اعراب هذه الآية (قوله تعالى «وحور عين » على قــراءة الجــر معطوف على قــوله (بأكواب وأباريق) ٠ والمعنى مختلف اذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين) ٠

ثانيـا ــ القائلون بالعطف على اللفظ والمعنى :

قال الزمخشري في الكشاف(٣٧) : (قرىء (وحــور عين) بالرفع على وفيها حور عين ، وبالجر عطفا على (جنات النعيم) كأنه قال : هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور ٠

أو على (أكواب) لأن معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب) ينعمون بأكواب) ٠

وقال الألوسي في روح المعــاني(٣٨) : (وقــرأ الســلمي والحسن والأعمش والكسائي (وحور عين) بالجر ٠

وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محــذوف ، كأنه قيل : في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور ٠

وذهب الى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيــان فقال : فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض ، وهو فهم أعجمي ٠ وليس كما قال كمالا يخفى) ٠

---

(٣٥) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٧) ٠
(٣٦) انظر معــاني القرآن للفراء ٣ : ١٢٣ ــ ١٢٤ ٠
(٣٧) انظر الكشاف ٤ : ٥٤ ٠
(٣٨) انظر روح المعــاني ٢٧ : ١٣٨ ٠

وما ذهب اليه الزمخشرى والألوسى من أن قوله تعالى (وحور عين) ـ بالجر ـ قد عطف على قوله (جنات النعيم) هو الراجح ٠

وذلك لما يأتى :

أولا ـ ان العطف فى مثل هذه الحالة يكون باللفظ والمعنى ، وعليه فلسنا بحاجة الى تقدير وتأويل ٠

ثانيا ـ ان العطف على قوله تعالى (بأكواب وأباريق) انما يكون فى اللفظ دون المعنى ، لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالأكواب ٠

ثالثا ـ اذا كان الجمهور قد رفضوا الجر على الجوار فى قوله (وأرجلكم) ٠

من قوله تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين)(٣٩) وذلك بسبب وجود حاجز بين المعطوف والمعطوف عليه وهو الواو ٠

فمن باب أولى يكون عطف (وحور عين) ـ بالجر ـ على (بأكواب وأباريق) أشد امتناعا ، اذ أن الفاصل هنا أكثر من جملة ، وهو مانع من الجر على جوار ، أو على الأقل يضعفه ٠

ما يندرج تحت حكم المجاورة :

مما يعطى حكم المجاورة ، صرف ما لا ينصرف للتناسب ومن ذلك قوله تعالى :

« انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا»(٤٠) ٠

قال النحاس(٤١) : (والحجة لمن نون (سلاسلا) ما حكاه الكسائى وغيره من الكوفيين أن العرب قد تصرف كل ما لا ينصرف الا أفعل منك(٤٢) فهذه حجة ٠

(٣٩) من الآية : ٦ من سورة المائدة ٠
(٤٠) آية : ٤ من سورة الانسان ٠
(٤١) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣ : ٥٧٣ ٠
(٤٢) يريد (أفعل التفضيل) ٠

وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول : كل ما يجـوز فى الشعر فهو جائز فى الكلام ، لأن الشعر أصل كلام العرب •

وحجة ثالثـة ـ نه لما كان الى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثـانى) •

وقال الزمخشرى(٤٣) : (وقرىء (سلاسلا) بالتنوين ، وفيه وجهان :

أحدهما ـ أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ، ويجـرى الوصل مجرى الوقف •

والثـانى ـ أن يـكون صاحب قـراءة التنوين ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف) •

وقال الألوسى(٤٤) : (وقـرأ نافع والكسـائى وابو بكر والأعمش (سلاسلا) بالتنوين وصلا ، وبالألف المبدله منه وقفا •

وبعـــد ذلك اعترض على الزمخشرى الذى جـوز وجهـين فى التنـوين :

أحدهما ـ أن تكون هـذه النون بدلا عن حرف الاطلاق ، ويجرى الوصول مجرى الوقف •

والثـانى ـ أن يكون صاحب القـراءة ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف •

وقـد ضعف الألوسى الوجهين السابقين :

أما الأول ـ فان الابدال من حروف الاطلاق فى غير الشعر قليل كيفـوضم اليه اجراء الوصل مجرى الوقف •

وأما الثـانى ـ ففيه تجويز القراءة بالتشهى دون سـداد وجهها فى العـربية •

والوجه : انه لقصد الازدواج والمشاكلة) •

---

(٤٣) انظرظ الكشاف ٤ : ١٩٥ •
(٤٤) انظر روح المعـانى ٢٩ : ١٥٣ •

المبحث الثانى

الجــــر على الجــوار فى النعت

الجر على الجوار فى النعت فى القرآن محل خلاف ـ أيضاـ بين العلماء ، فمنهم من أجازه ، ومنهم من منعه .

فممن أجاز : الفراء والعكبرى ، وممن منع ابن جنى والنحــاس والألوســـــى .

ومن الآيات التى ظاهرها يفيد الجر على الجوار فى النعت قوله تعـــــالى :

« والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لـكم من اله غيره ولا تنقصوا المـكيال والميزان انى أراكم بخير انى أخــاف عليكم عذاب يوم محيط »(١) .

قال العكبرى(٢) : (ومن الجــوار فى الصفات قوله « عــذاب يوم محيط » واليوم ليس بمحيط ، وانما المحيط العذاب) .

وقال الألوسى(٣) : (والحاصل أن احاطة اليوم تدل على احاطة كل ما فيه من العذاب ، وأما احاطة العذاب على قوم فقد يكون بأن يصيب كل فرد منهم نوعا من أنواع العذاب .

وأما فيما نحن فيه ، فيدل على احاطة أنواع العذاب المشتمل عليها اليوم بكل فرد . ولا شك فى أبلغية هذا .

وقال بعض المحققين فى بيــان الأبلغيــة : ان اليوم زمــان لجميع

---

(١) هـــود : ٨٤ .
(٢) انظر التبيــان ١ : ٤٢٣ .
(٣) انظر روح المعــانى ١٢ : ١١٥

الحوادث ، فيوم العذاب زمان جميع أنواع العذاب الواقعة فيـه ، فاذا كان محيطا بالمعذب فقد اجتمع أنواع العذاب له •

ومن ذلك قـول الشـاعر :

٢٩ ـ ان المـروءة والسـماحة والنـدى
في قبـة ضـربت على ابن الحشـرج

فان وقوع العذاب في اليوم ، كوجود الأوصاف في القبة •

وجعل اليوم محيطا بالمعـذب كضرب القبة على الممدوح ، فكما أن هذا كناية عن ثبوت تلك الأوصاف له كذلك ذاك كناية عن ثبـوت أنواع العـذاب للمعـذب) •

وقال الزمخشري(٤) : (فان قلت : وصف العذاب بالاحاطة ابلغ أم وصف اليوم بها ؟

قلت : بل وصف اليوم بها ، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمـه) •

وقال تعـالى « مثل الذين كفروا بربهم أعمـالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيـد »(٥) •

قال الفراء(٦) : (وقال تعالى « في يوم عاصف » فجعل العصوف تابعا لليوم في اعـرابه ، وانمـا العصـوف للريح ، وذلك جـائز على جهتـين :

احداهما ـ أن العصوف وان كان للريح فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم عاصف ، كما تقول : يوم بارد ، ويوم حار ، وقد أنشدني بعضهم :

---

(٤) انظر الكشاف ٢ : ٢٨٥ •
(٥) آية : ١٨ من سورة ابراهيم •
(٦) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٣ وما بعدها •

٣٠ ـ يومين غيمين ويوما شمســـا

فوصف اليومين بالغيمين ، وانمـــا يكون الغيم فيهما ٠

والوجه الآخر ـ أن يريد فى يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ، لأنها قــد ذكرت أول الكلمة ٠

قال الشــاعر :

فيضـــحك عــــرفان الدروع جـــلودنا

اذا جـــاء يوم مظـلم الشـــمس كاسف

يريد كاسف الشمس فهذان وجهان ٠

وان نويت أن تجعل (عاصف) من نعت الريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم اتبعته اعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض اذا اشبهه) ٠

وقال العكبرى(٧) : (ومن الجوار فى الصفات قوله تعــالى « فى يوم عاصف » واليوم ليس بعاصف ، وانما العاصف الريح) ٠

وقال النحاس(٨) : (قوله تعــالى « فى يوم عاصف » على النسب عند البصريين بمعنى ذى عاصف ، ثم ذكر قول الفراء المتقدم ، وجوازه أن يكون (عاصف) صفة لليـــوم بمعنى فى يوم عاصف ، أوصفة للريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم اتبعته اعراب اليوم وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض ٠

وبعد ذلك رد النحاس على كلام الفــراء المتقدم قائلا : هــذا مما لا ينبغى أن يحمل كتاب الله ـ جل وعــز ـ عليه ٠

وقد ذكر سيبويه أن هذا من العرب غلط ، واستدل بأنهم اذا ثنوا قالوا : هذان جحرا ضب خربان ، لأنه قد استبان بالتثنية والتوحيد) ٠

---

(٧) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ ٠
(٨) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢ : ١٨١ ٠

وقال الالوسى(٩) : (وقيل : ان (عاصف) صفة (الريح) الا انه جر على الجـوار ٠

وفيه انه لا يصح وصف الريح به ، لاختلافهما تعريفا وتنكيرا) ٠

ومن الجر على الجوار فى الصفة قوله تعالى :

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »(١٠) ٠

وقد اختلفت كلمة الفراء حول هذه الآية ، فعندما كان فى معرض الحديث عن معنى قوله تعالى «اشتدت به الريح فى يوم عاصف »(١١) أجاز جر (عاصف) على الجوار ، وان كانت صفة للريح ، وأضاف قائلا : ومما يرويه نحويونا الأولون أن العرب تقول : هذا جحر ضب خرب بجر (خرب) والوجه الرفع ٠

ثم استدل على ذلك بقوله : وقد ذكر عن يحيى بن وثاب انه قـرأ « ان الله هو الرازق ذو القوة المتين » فخفض (المتين) وبه اخذ الأعمش ، والوجه أن يرفع (المتين)(١٢) ٠

ويفهم من استدلال الفراء المتقدم انه أجاز أن يكون (المتين) بالجر صفة لقوله تعالى (الرزاق) وكان حقها الضم الا انهـا جـرت لمجاورتها المجـــــرور ٠

وعندما تكلم عن قوله تعالى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وجدناه لم يتعرض لظاهرة المجاورة ، ووجه قراءة جر (المتين) على انها صفة لقوله تعالى (القوة) ٠

قال الفراء فى معانى القرآن (١٣) : (قرأ يحيى بن وثاب (المتين) بالمخفض جعله من نعت (القوة) وان كانت أنثى فى اللفظ ، فانه ذهب الى الحبل والى الشيء المفتول ٠

---

(٩) انظر روح المعانى ١٣ : ٢٠٤ ٠
(١٠) آية : ٥٨ من سورة الذاريات ٠
(١١) من الآية : ١٨ من سورة ابراهيم ٠
(١٢) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ ٠
(١٣) انظر معانى الفراء ٣ : ٩٠ ٠

أنشدني بعض العرب :

٣١ ـ لكل دهر قد لبست أثوبا   من ريطة واليمنة المعصبا(١٤)

فجعل المعصب نعتا لليمنة ، وهي مؤنثة في اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب فذهب اليه) .

وقال ابن جني(١٥) : (قرأ يحيى والأعمش « ذو القوة المتين » ويحتمل أمرين :

أحدهما ـ أن يكون وصفا للقوة فذكره على معنى الحبل ، يريد قوى الحبل ، لقوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها »(١٦).

والآخر ـ أن يكون أراد الرفع وصفا للرزاق ، الا انه جاء على لفظ القوة لجوارها اياه على قولهم : هذا جحر ضب خرب .

وعلى أن هذا في النكرة ـ على ما فيه ـ أسهل منه في المعرفة ، وذلك أن النكرة أشد حاجة الى الصفة ، فبقدر قوة حاجتها اليها تتشبث بالاقرب اليها ، فيجوز هذا جحر ضب خرب ، لقوة حاجة النكرة الى الصفة .

فأما المعرفة فتقل حاجتها الى الصفة فبسبب ذلك لا يسوغ التشبث بما يقرب منها لاستغنائها في غالب الأمر عنها ، الا ترى أنه قد كان يجب الا توصف المعرفة ، لكنه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد ، فجاز وصفها ، وليس كذلك النكرة ، لأنها في أول وضعها محتاجة الى الصفة لابهامها .

---

(١٤) قاله معروف بن عبد الرحمن ، وقيل : حميد بن ثور ، ويروى عجزه :

حتى اكتسى الرأس قناعا اشهبا

و (الريطة) الملاءة اذا كانت قطعة واحدة . والمعصب : المعمم الذي يحيط بالرأس .

وانظر الأشموني ٤ : ١٢٢ .

(١٥) راجع المحتسب ٢ : ٢٨٩ .

(١٦) من الآية : ٢٥٦ من سورة البقرة .

فن قلت : أن (القوة) مؤنثة ، و (المتين) مذكر فكيف جاز أن تجريها عليها على الخلاف بينهما ؟ !

قيل : قد تقدم أن القوة هنا انما المفهوم منها الحبل على ما تقدم ، فكأنه قال : ان الله هو الرزاق ذو الحبل المتين وهذا واضح ·

وأيضا فان (المتين) فعيل ، وقد كثر مجيء فعيل مذكرا وصفا للمؤنث، كقولهم : حلة خصيف(١٧) ، وناقة حسير(١٨) ·

وقال الألوسى(١٩) : (وقرأ الأعمش وابن وثاب (المتين) بالجر · وخرج على أنه صفة (القوة) ·

وجاز ذلك مع تذكيره ، لتأويلها بالاقتدار ، أو لكونه على زنه المصادر التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول) ·

وبعد ··· فقد عرضنا اقوال العلماء فيما يتعلق بالجر على الجوار فى النعت ، وعرفنا أن منهم من اجاز ، ومنهم من منع ·

وانا أؤيد وأرجح رأى من منع على أساس ان الجر على الجوار لا ينبغى أن يكون فى كلمات الله ــ عز وجل ــ ·

وأيضا فان المعنى يكون واضحا وظاهرا من غير اللجوء الى مثل هذه الظاهرة ، ففى الآيات المتقدمة اذا جعلنا (محيط) فى الآية الأولى صفة لقوله تعالى (يوم) فان الكلام يكون صحيحا ، بل ان ذلك أبلغ من جعله صفة للعذاب ، كما تقدم ·

وكذا يصح لنا ان نجعل (عاصف) فى الآية الثانية صفة لقوله (يوم) فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، أو ان يجعل (عاصف) على النسب بمعنى ذى عاصف ·

---

(١٧) حلة خصيف : ذات لونين : أبيض وأسود ·
(١٨) ناقة حسير : مجهدة ·
(١٩) انظر روح المعانى ٢٧ : ٢٤ ·

وفى الآية الثالثة يصح المعنى بجعل (المتين) على قراءة الجر صفة لقوله تعالى (القوة) على أن (القوة) بمعنى الحبل ، أو بمعنى الاقتدار ، أو كونه من الأوصاف التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول ٠

وبالاضافة الى ما تقدم نجد أن (الريح) معرفة ، و (عاصف) نكرة ، والمعرفة لا توصف بنكرة ٠

المبحث الثالث

الجوار بين الواو والضمة

يترتب على مجاورة الواو للضمة التي قبلها قلب الواو همزة ـ جوازا ـ على تقدير أن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها · والنحاة يبدلون من الواو المضمومة همزة ، كما قالوا في وجوه أجوه ، وهذا قياس نحوي محل اتفاق بين جمهور العلماء ، فما جاء منه في القرآن يكون مقبولا وسائغا ·

ومن الآيات التي وردت في ذلك :

قوله تعالى :

« والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة

هم يوقنون »(١) ·

قال الزمخشري(٢) : (قرا أبو حية النميري (يؤقنون) بالهمزة ، جعل الضمة في جار الواو ، وكأنها فيه ، فقلبها قلب واو (وجوه)) ·

وقال أبو حيان(٣) : (قرأ الجمهور (يوقنون) بواو ساكنة بعد الياء ، وهي مبدلة من ياء ، لأنه من أيقن ·

وقرأ أبو حية النميري بهمزة ساكنة بدل الواو ، وذكر أصحابنا أن هذا يكون في الضرورة · ووجهت هذه القراءة بأن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها ، وهم يبدلون من الواو المضمومة همزة فقد

---

(١) آية : ٤ من سورة البقرة ·
(٢) الكشاف ١ : ١٣٨ ·
(٣) البحر ١ : ٤٢ ·

قالوا فى وجوه و وقتت : أجوه و اقتت ، فأبدلوا من هذه همزة اذ قدروا الضمة فيهـا) ٠

وقال الألوسى(٤) : (وقـرأ النميرى (يؤقنون) بهمزة سـاكنة بدل الواو ٠ وشاع عندهم أن الواو اذا ضمت ضمة غير عارضة ، كما فصل فى العربية يجوز ابدالها همزة ، كما قيل فى وجوه جمع وجه (أجوه) ٠

فلعل الابدال هنا لمجاورتها للمضموم فأعطيت حكمة) ٠

ومن ذلك قـوله تعـالى :

« ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق »(٥) ٠

قال الزمخشرى(٦) : (من قرأ (بالسؤق) فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق ، كما قال الشاعر :

احب المؤقـدين الى مؤسى(٧)

وقال الألوسى(٨) (قـرأ ابن كثير (بالسؤق) بهمـزة سـاكنة ، قال أبو على : وهى ضعيفة لكن وجهها فى القياس ان الضمة لما كانت تلى الواو قدر انها عيلها كما يفعلون بالواو المضمومة حيث يبدلونها همزة ٠ ووجههـا من القيـاس أن أباحيـة النميرى كان يهمز كل واو سـاكنة قبلها ضمة) ٠

وأنا أرى أن همز الواو فى المواضع المتقدمة جائز ومتفق مع القياس، وهذا ما ذهب اليه الجمهور ، فلعل الابدال هنـا بسبب مجـاورة الواو الضمة وكانوا ينشدون فى هذا المعنى قول الشاعر :

---

(٤) انظر روح المعانى ١ : ١٢٢ ٠
(٥) آية : ٣٣ من سورة ص ٠
(٦) انظر الكشاف ٢ : ٣٧٤ ٠
(٧) المذكور صدر بيت تقدم الكلام عليه عند الشاهد رقم (٢٣) ٠
(٨) انظر روح المعانى ٢٣ : ١٩٨ ٠

٣٢ ـ قد يؤخذ الجار بظلم الجار(٩)

وبعد ... فأرجو أن أكون قد وفقت فى اعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والمناقشة ، فان أكن كذلك فبتوفيق الله ، وان تكن الأخرى فحسبى فى ذلك أننى بشر أطمع فى رحمة الله ، انه نعم المولى ونعم المجيب .

---

(٩) المذكور رجز أنشده أبو على وقال فى الخصائص ٢ : ١٧١ (يحكى أن اعرابيا أراد امرأة له ، فقالت له : انى حائض ، فقال فأين الهنة الأخرى ، فقالت له اتق الله ، فقال :

كلا و رب البيت ذى الاستار   لأهتكن حلق الحتار

قد يؤخذ الجار بجرم الجار

والهنة : المرأة ـ الحتار : حلقة الدبر .

فهـرس الشواهد الشعرية

رقم الشـاهد :

٣١ ــ لـكل دهـر قـد لبست اثـوبا
مـن ريطـة واليمنـة المعصـبا

٨ ــ يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصـل اذا انحلت عـرا الذنب

٢٩ ــ ان المـروءة والسـماحة والنـدى
فى قبـة ضـربت على ابن الحشـرج

١٣ ــ كأنمـا ضـربت قـدام أعينها
قطنـا بمستحصـد الأوتار محـلوج

٢٤ ــ يا ليت زوجـك قـد غـدا
متقـلدا سـيفا ورمحـا

٢٣ ــ احـب المؤقـدين الى مؤسـى
وجعـدة اذا أضـاءهما الوقـود

٦ ــ فجئت اليـه والرمـاح تنـوشه
كوقـع الصـياصى فى النسـيج الممدد

فدافعت عنـه الخيـل حتى تبددت
وحتى عـلانى حـالك اللـون أسـود

٢١ ــ انارة العقل مكسوف بطوع هـوى
وعقـل عـاصى الهـوى يزداد تنـويرا

١٢ ــ لعب الـرياح بهـا وغيرهـا
بعـدى سـوافى المـور والقطـر

رقم الشـاهد :

١٧ ـ لما أتى خـبر الزبير تضعضعت
سـور المدينـة والجبـال الخشـع

٢٢ ـ ومعـرض تغـلى المراجـل تحتـه
بادرت طبخـتها لرهـط جيـع

٢ ـ ويضحك عـرفان الدروع جـلودنا
اذا جـاء يوم مـظلم الشـمس كاسف

٩ ـ السـالك الثغـرة اليقظان كالئهـا
مشى الهـلوك عليهـا الخيعل الفضـل

٧ ـ كأن أبانا فى عـرانين وبـله
كبـير الناس فى بجـاد مزمـل

١٤ ـ فلو أن ما أسـعى لأدنى معيشـة
كفـانى ـ ولم أطلب ـ قليـل من المـال

١٠ ـ حتى تهجر فى الرواح وهاجهـا
طلـب المعـقب حقـه المظـلوم

١٥ ـ ولـكن نصـفا لو سـببت وسبنى
بنـو عبـد شـمس من منـاف وهـاشم

١٨ ـ وتشـرق بالقول الذى قـد اذعته
كما شـرقت صـدر القنـاة من الدم

١٩ ـ مشين كما اهتزت رمـاح تسفهت
أعاليهـا مـر الـرياح النواسـم

٢٠ ـ جـادت عليـه كل عـين ثـرة
فتركـن كل حـديقة كالدرهـم

١١ ـ قـد كنت داينت بهـا حسـانا
مخـافة الافـلاس والليـانا

٢٨ ـ اذا مـا الغانيـات برزن يومـا
وزججـن الحـواجب والعيـونا

٢٥ ـ مشائيم ليسـوا مصلحين عشيرة
ولا ناعـب الا ببـين غـرابها

٥ ـ على هـطا لهم منهم بيـوت
كأن العنـكبوت هـو ابتنـاها

٢٧ ـ علفتهـا تبنـا ومـاء باردا
حـتى شـتت همـالة عينـاها

٢٦ ـ بدالى أنى لست مـدرك ما مضى
ولا سـابق شـيئا اذا كان جائيـا

٣ ـ فاياكم وحيـة بطـن واد
همـوز النـاب ليس لـكم بسـى

١ ـ وكنت اذا جـارى دعـا لمضـوفة
أشـمر حـتى ينصف السـاق مئزرى

١٦ ـ ولـكنما أسـعى لمجـد مـؤثل
وقـد يدرك المجـد المـؤثل امثـالى

انصـاف الأبيـات

٣٢ ـ قـد يؤخـذ الجـار بظلم الجـار

٣٠ ـ يومـين غيمـين ويومـا شـمسا

٤ ـ كأن نسـج العنـكبوت المرمـل

مـــــراجع البحث

١ ـ القــرآن الــكريم :

٢ ـ اعــراب القــرآن لأبى جعفر النحــاس ـ تحقيق د، زهير غــازى زاهــد ـ مطبعة العــانى ـ بغداد ٠

٣ ـ الأمــالى الشجرية ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

٤ ـ الانصاف فى مسائل الخــلاف بين البصريين والكوفيين ـ تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ١٩٨٢م ٠

٥ ـ البحر المحيط لأبى حيــــان ٠

٦ ـ التبيان فى اعراب القرآن لأبى البقــاء العــكبرى ـ تحقيق محمد على البيجاوى ـ مكتبة الحلبى ٠

٧ ـ تفسير روح المعــانى للألوسى ـ بيروت ـ احياء التراث العربى ٠

٨ ـ تفســـــير القرطبى ٠

٩ ـ حاشية الصبان على شرح الأشــمونى للألفية ـ مطبعة الحلبى ٠

١٠ ـ الخصائص لابن جــنى ـ تحقيق محمد على النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ٠

١١ ـ دراسات لاسلوب القرآن الكريم تأليف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ـ مطبعة السعادة ٠

١٢ ـ ديوان الأعشى ـ طبعة بيروت ٠

١٣ ـ ديوان الحطيئة ـ شرح أبى سعيد السكرى ـ بيروت ٠

١٤ ـ ديوان دريدبن الصمة ـ تحقيق ـ محمد خير البقــاى ـ مــكتبة دار قتيبة ١٩٨١م ٠

١٥ ـ ديوان ذى الرمة ـ الطبعة الأولى ٠

١٦ ـ ديوان العجاج ـ تحقيق ـ عبد الحفيظ السلطى ـ دمشق ٠

١٧ ـ ديوان الفرزدق ـ المكتبة التجارية الكبرى ٠

١٨ ـ ديوان لبيد ـ بيروت ١٩٦٦م ٠

١٩ ـ ديوان الهذليين ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٥م ٠

٢٠ ـ سر صناعة الاعراب لابن جنى النحوى ـ تحقيق ـ مصطفى السقا وزملائه ـ الطبعة الأولى ٠

٢١ ـ شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ـ لابن هشام ـ تحقيق ـ الشيخ عبد المتعال الصعيدى ـ مكتبة صبيح ٠

٢٢ ـ شرح أبيات سيبويه السيرافى ـ تحقيق ـ محمد على سلطانى ـ بيروت ٠

٢٣ ـ شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ نسخة مصورة على الميكروفيلم ـ موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) ٠

٢٤ ـ شرح ديوان جرير تأليف ـ محمد اسماعيل الصاوى ـ دار الأندلس ـ بيروت ٠

٢٥ ـ شرح ديوان زهير ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤م

٢٦ ـ شرح الرضى لشواهد الشافية ـ القسم الثانى ـ تحقيق ـ محمد نور الحسن وزميليه ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ٠

٢٧ ـ شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ـ لبنان ٠

٢٨ ـ شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ـ تحقيق ـ احمد الخراط ـ طبعة بغداد ٠

٢٩ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك ـ تحقيق الدكتور عبد المنعم احمد هريدى ـ مركز البحث العلمى ـ جامعة أم القرى ـ مكة ٠

٣٠ ـ الصحاح للجوهرى ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٠

٣١ ـ الكتاب لسيبويه ـ تحقيق ـ ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين الطبعة الأولى ٠

٣٢ ـ الكشاف للزمخشرى ـ دار المعرفة ـ لبنان ٠

٣٣ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لمكى بن ابى طالب ـ تحقيق الدكتور محى الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٠

٣٤ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة ـ تحقيق الدكتور محمد فؤاد ـ مكتبة دار الفكر ٠

٣٥ ـ المحتسب فى تبيين وجوه القراءات لابن جنى ـ تحقيق على النجدى ناصف وزميليه ـ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠

٣٦ ـ معانى القرآن للأخفش ـ تحقيق الدكتور فائز فارس ٠

٣٧ ـ معانى القرآن الفراء ـ مطبعة عالم الكتب ـ بيروت ٠

٣٨ ـ معانى القرآن واعرابه للزجاج ـ تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ـ مشروع احياء التراث الاسلامى ٠

٣٩ ـ مغنى اللبيب لابن هشام ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

٤٠ ـ المقتضب للمبرد ـ تحقيق الأستاذ أحمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب ـ بيروت ٠

٤١ ـ المنصف (شرح تصريف المازنى) لابن جنى ـ تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين الطبعة الأولى ٠

٤٢ ـ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ المكتبة التجارية الكبرى ٠

٤٣ ـ همع الهوامع ـ شرح جمع الجوامع للسيوطى ـ تحقيق ـ عبد العال سالم مكرم ـ دار البحوث العلمية الكويت ٠

فهـرس الموضوعات

دار الثقـافة للطبـاعة والنشر
٢١ شارع كامل صدقى ـ الفجالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ القاهرة